كمال الدين محمد خليل

يقدم

رسائل

دين . وطنية . اجتماع

ذئاب في جلود الضأن

الإهداء

إلى شقيق الروح ومرفأ الراحة ...

إلى ملازمي في أفراحي .. وقسيمي في أتراحي ...

إلى أخي في الله .. الأستاذ بركات عبد الجواد السقا

الطالب بالأزهر .

كمال الدين زغلول

obeikandl.com

كلمة الاستاذ الحكيم

فضيلة شيخ علماء دسوق

إلى الشاب النابه الأستاذ زغلول

اطلعت على رسائلك . فسررت كثيراً . من صادق وفائك لأساتذتك وزاد فى سرورى مالحته من جمال فى التصوير :: وروعة فى الخيال ؛ وقوة فى القلم ؛ ودقة فى الاسلوب

والحق انها باكورة تبشر بعبقرية فى الأدب ، فسر إلى الأمام ، تحدوك قوة العزيمة وترعاك عناية الله

بيد أنى أرى أن تبعد بالابطال عن الازهريين ويحسن أن تحكى الموضوع عن أشخاص آخرين ؟

عبد المجيد القمرى

الاستاذ الاديب العلامة الشيخ أحمد شلبايه يقدم تلميذه المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى القارىء :

قرأت مادبجته يراعة الاديب الناشىء « زغلول » فى رسائله فحمدت له هذه الباكورة الناضجة وهذه البراعة البارعة ، التى استهل بها حياته الأدبية ؛ وهذا المطلع الوافى لقصيد مستقبله فى عالم الكتابة والتأليف وليس العهد بزغلول جديداً : فلقد عرفته فى كتابته الإنشائية منذ ثلاثة أعوام مضت : فتوسمت فيه مخيلة أديب وخيال شاعر ؛ وشرود حالم بحياة بعيدة المدى تتزاحم على أبوابها الغايات وليس لى من فضل فى هذه التنشئة الأدبية سوى حسن التوجيه إذا عد ذلك فضلا ؛ فلقد كانت ملاحظاتى على كتابته تعنى دائما بإرشاده إلى موارد الادب الحى وارتشافه منها وتجنبه الادب المحترف الذى يعرضه باعة الصحف فى مجلات مبتذلة ـ أذكر أنى أرشدته إلى ذلك وعينت له قراءات خاصة فى مؤلفات خاصة ، لمنشئين وكتاب بأعينهم :

ولا بد أن هذه القراءات قد أثمرت وتثمر ثمرتها المرجوة فى مستقبل الزمن . ولقد جاءت (رسائله) جيدة الصوغ : سهلة العبارة ممتعة الفكرة تصف ناحية من مآسى الحياة : وتمثل على مسرح القصة فصلا من روايتها : فترى بين مناظره صورة غضى ليتيم أسلمته الحياة لمربية متجنية . فظل بين أحضانها يشرب الحياة من كأسها المرة . وترى بين مناظره صورة خادعة تبرق لهذا اليتيم فتريه السعادة كخلب البرق فيبتسم لها ثم يتخطب

وترى بين مناظره صورة باكية ممضة لمأساة شعب حر سيم فى وطنه وشرفه فوقف يذب عنه فدفع الثمن غاليا من أرضه فشرد . ومن ماله فافتقر . ومن ولده وأهله فخسر كل شىء إلا هذه الغلالات التى تجود بها الشعوب عليه بين حين وحين

وترى فى مناظرها صورة بغيضة لصداقة مزيفة دل عنوانها على ولاء وحب وطوت بين جانحتيها خيانة أثيمة مروعة !

وهكذا تقرأ وتشاهد الحياة فى فصولها وعبرها وماهى إلا دمعة وابتسامة ، وغضب ورضا ولله در شوقى إذ يقول :

وإذا تأملت الحياة رأيتها * عرسا أقيم على جوانب مأتم

فالى الأمام أيها الأديب والله يرعاك . وسلام عليك .

« احمد شلبايه »

بسم الله الرحمن الرحيم

سلاما وتحية وبعد

فليس ثمة مراء في أننا . شعب وادي النيل طرا قد تنسمنا عبق الحرية واستفنا نشر الكرامة والسيادة مذ وثب الجيش وثبته المباركة فطرد (فاروق الاول والاخير) الى غير رجعة وقوض بنيان العهد الماضي تلك التي قامت على جرف من التفكك والفوضى والإنحلال والبطالة والكسل والإلحاد والإباحية وشيد بدلها صرحا وطيداً لعهد دعامته إتحاد . وقوامه نظام . ومساكه عمل وحطم المعاقل وكفل حرية الرأي وتعهدها

وهاأنذا ياأخي . أنهض مع النهضة . وأساير العهد الجديد ولست أضرب إلى غير غاية أو أصوب لغير هدف أو أحاول بلجاج من القول . ومهاترات من الكلام وترهات من الاقاويل أن اكتسب شهرة أو مالا - كلا وعمر الله - وإنما لى الغاية التى

أضرب اليها والهدف الذى أصوب نحوه . والفكرة التى مازجت قلبى . فآمنت بها وأخلصت لها . ونزعت الى العمل على إبرازها وجلائها - وإليك ياأخى - من ذوب وجدانى أصوغ (فى رسائلى) قصصا وأحاديث استلهمتها الدين والوطنية . وعاصرت على مسرح المجتمع وقائعها . لنكون وطنيين حقا اكفاء لنشر أقدس وأسمى رسالة فى الوجود دعاة أوفياء لها مجاهدين فى سبيلها مضحين من أجلها بالنفس ونفيسها والغالى والمرتخص

ويا أخى: إذا سجلت على هفوة . اواخذت على ذلة . فالتمس لى المعذرة ولم لا أطمع انا فى عفوك عن هفواتى . وصفحك عن زلاتى . الست أخى وزميلى فى الجامعة التى تؤهلنا معاً لحمل الرسالة القدسية نصل بها بين الناس ورب الناس

والآن دعنى أقدم الشكر من أغوار اغوار نفسى وأعمق أعماق قلبى لأستاذى شيخ المعهد الذى تنازل وأرشدنى . واستاذى (احمد شلبايه) الذى لولاه ما كنت وما كانت (رسائلى) وإخوانى الذين دللوا بما صنعوا معى على مدى وفائهم لى ومنزلتى عندهم وإلى لقاء قريب - يا اخى - فى عدد جديد يتبعه إن شاء الله أعداد واعداد ؟

المؤلف

« رسائل يتامى »

عشت تشعل الشموع للبائسين الحيارى ، ونار شموعك تلتهب في صدرك التهابا وبعت روحك رخيصة في سبيل هدى الحائر الضال وانت ـ بعد ذلك كله ـ راض بالحرمان وحكم القدر .

دعوني يارفاق اجل دعوني ... اداوي (خافق الصدر) العليلا
فقد هام الفؤاد بغير (ليلى) ... وكان الليل في ليلى طويلا
هجرت الغانيات وكان مثلي ... يحب الغانيات فتى قتيلا
وهمت بروضة الادب المفدى ... وطرت محلقا فيها اصيلا
قرأت (رسائلي) فوجدت فيها ... عظات ساميات لن تحولا
عظات من لدن فطن لبيب ... أضاء لطالبي الحق السبيلا
(كمال الدين) انت لنا لواء ... فهات القول واهد به العقولا
وسلسل من (رسائلك اليتامى) ... بحوراً جاريات سلسبيلا
وضم لروضة الآداب زهراً ... بديعا في تفتحه . جميلا
ورفرف في العلا بجناح نسر ... وطر نحو السما واسبق سهيلا
وخط لدى السماء سطور فخر ... لجيل ماجد يأبى الخمولا

« زرق السيد هيبه »
طالب بمعهد دسوق الثانوى

ليطل خفاقا

كان ذلك فى العام الماضى . إبان حركة التحرير فى القنال

وذلك مساء . والليل ساج . والنسيم رهو . والنجوم المزدهرة تتألق فى كبد السماء . وفى رحاب الطبيعة الريفية العذراء . على مرتفع من الأرض معشوشب . كان ثمة شاب . قد تمدد على جانبه وأثنى ذراعه . واعتمد عليها بوجنته . وراح يتسمع إلى حفيف الأغصان عندما يهف بها النسيم . فيجيش فى قلبه الحنين إلى حبيبته . تلك التى خلفها بالقاهرة . ويتلهف عليها . وتضطرم فى نفسه لواعج الشوق إلى لقياها . وكأنه رحل عنها منذ حولين لا يومين !

وإن هاته النجوم الزهر . لهى الآن كل ما يستلفت بصره ويستهوى ناظره . وكيف لا وهو يرى « وداد » بوجهها القسيم

تطل عليه من كل نجمة متى ركز فيها نظره . مرفرفة كالفراشة باسمة الثغر . منطلقة الحيا . متهللة الاسارير وكلما اهتزت خيوط الضوء . تلك التي تنبعث من ابتسامتها وتنتهي إليه فتغمر وجهه كلما اهتزت تلك الخيوط ـ خفق فؤاده . وأحس فيضاً من الآمال الحلوة يعتمل فى جوانبه فيعلو من أجل ذلك صدره ويهبط . ثم يخالها قد دنت منه . فيمد يده ليتلقى بها راحتها . وأثناء ذلك يشعر باضطراب يسرى فى شتى أنحاء جسده . هو أشبه ما يكون بمغطسة الكهرباء . فيتراجع . لولا أنها تتبدى له . أدنى من ذى قبل . فيستجمع شتات قوته . ويعاود الكرة مرة أخرى فتمتد ذراعه إلى نهايتها . غير أنها تتنهى إلى لا شيء . وهنا تصدمه الحقيقة الواقعة ... فما النجوم له بدانية وهيهات هيهات . أن يتجسم له طيف الخيال !

لقد استشعر فتانا من نفسه ضجراً . لطول صراعه ذلك النفسى . فاعتدل جالساً . وأشعل سيجاراً وجرى فى حبال هواها وجعل يجاذبها قبلة بقبلة . على أنه لم يلبث . أن أحس اضطرامها

فى صدره . فسئم هواها . ومل أنفاسها . فطوح بها عن كثب منه . وجعل يحدق فيها . وهى تومض بين أعواد الحشيش الأخضر حتى تلاشى وميضها رويدا .. رويدا .

وكان القمر قد انقشعت عنه سحابة كبيرة مربدة حجبت ضوءه منذ بزوغه . فغمر الكون والآفاق . بنوره الزاهر الرفيق وتسللت أضواؤه من خلال الفرجات الضيقة فى الشجرة القائمة من الفتى غير بعيد . وسقطت على الأرض . فبدت فى الظل كأنها القطع المستديرة من الفضة المصقولة . فسحرته واستهوته اليها . فنهض سارياً . حتى بلغها وأخذ ينقل طرفه فى تلك الكرات الفضية بين مفكر ذاهل . ومعجب مأخوذ .

واتفق فى هذه اللحظة أن صدر من أعلا الشجرة صوت طائر يرفرف ليثبت فى مكانه . ورفع الشاب هامته إليه يتبينه فنظر طائرين على غصن . قد استنام أحدهما برقبته على الآخر وراحت تصدر منهم أصوات خفيضة شجية كأنهما يتبادلان الهوى أو ينشئا كيان النوى وأثار هذا المشهد ذكريات « الشيخ جمال »

فبقى واقفا كالمسحور المصعوق . لا يحول عن الطائرين بصره بينما راحت ذاكرته توالى عرض ماحدث بينه وبين فتاته « وداد » فى القاهرة عند لقائها الأخير الذى أتى إلى قريته عقبه منذ يومين !

إنه يقطن منزل تلك الفتاة من ثلاث سنوات عند ما نزل القاهرة والتحق « بكلية الشريعة » بعد أن حصل على الشهادة الثانوية من « معهد الزقازيق » حيث ترابض قريته من تلك المدينة على مقربة وأنه الآن لا يتذكر كيف كانا جالسين إلى بعضهما كهذين الطائرين . وكيف كان صوتها الرطب ذو النبرات الموسيقية يصل إلى سمعه حزيناً وهى تقول له باكية : مهما يكن يا شيخ جمال . فإنى أستحلفك الله ألا تقدم على فكرة التطوع آه يا ربى .. ماالذى يمكننى أن أصنع لو ضرب القدر بيننا بفراق أبدى !؟ »

كانت « وداد » إبنة صاحبة المنزل الذى يقطنه « الشيخ جمال » فتاة فى ربيعها السادس عشر . كلها أنوثة وجمال . وبقدر جمالها وأنوثتها كانت تقواها وورعها . فهى على نقيض فتيات العصر

الماجنات . عازفة عن التطواف بالشوارع بادية الزينة متبرجة زاهدة في المجتمعات الصاخبة . راغبة عن ارتياد مواقع اللهو الغير بريء . تعرف ربها وتصلي له . وكل ذلك بفضل «الشيخ جمال» وما كان يسديه اليها من نصح . ويروضها عليه من مكارم ومحامد قد ربط بينهما الحب العفيف برباطه المقدس

بيد أنها هي الأخرى كانت صاحبة أياد بيض عليه فلقد طالما تفانت في طمأنينته . وتفريج ضوائقه وكرباته . قد أدركت ظروفه العائلية . هذه التي حتمت عليه أن يعيش ما بين آلام الفاقة . وقسوة الاحتياج ومرارته . ولذلك تراه قد بدأ يحييها بصوت رفيق آنئذ كانت تريق عبراتها بين يديه تناشده الا يتطوع قائلا : « وداد . يا عزيزتي : إنك هنا في المنزل لا تدرين مدى ما ينالني من استهتار زملائي بي إن الفاظهم الجارحة . تلك التي تلاحقني أينما سرت وحيثما حللت . لهي كالأسواط اللاذعة تلهب ظهري أو السهام المسمومة تدمي فؤادي . وإن الواحد منهم لا يسعه عندما ينظر إلي . إلا أن يرفع حاجبه عجبا أو يقطب

جبينه كراهيه وغضباً. أو يولينى من شفتيه شيئاً كالابتسامة يقطر سخرية واستهزاء. لم يشفع لى فى كل ذلك تفوق أو ذكاء والواقع ياوداد أننى بكل هذا حقيق. لأن مثلى إنما كان يرجى منه أن يكون فى طليعة الصفوف. ولولاك لولاك ياوداد لكنت الساعه فى حشد المجاهدين. بيد أن الجهاد فرض ودين لله والوطن رقاب الشباب أمثالى وها قد ملأ ناقوسه الأجواء دقا. ولا معدى لى عن أن أجاهد قط .. وسيان عندى أن تغنى أو تكونى باكية، وهنا لا تملك «وداد» إلا أن تضاعف من بكائها ويعلو نحيبها!

وفيما هو سابح فى ذكرياته ارتفعت فى الجو فجأة أصوات انفجارات وأعقبها قصف مدافع ودوى وطلقات جعلت الأرض ترتج من تحته شاكية إلى باسطها. وحشية الإنجليز القراصنة والطائرين يفران من مبيتهما الأمين. ودمعات الطل تساقط عليه من أوراق الشجرة. والحماسة تتدفق فى شرايينه. وانتقل بكل مشاعره وأفكاره إلى «السويس» حيث الصراع الهائل العنيف بين الحق

والباطل - حق أبنـــاء النيل فى واديهم وباطل كلاب التامين المتشردين وود أن لو حملته الريح إلى هناك ليوفى دينه . ويدلى دلوه وتمنى أن لو يطير .

وقضى وقتاً ليس بالقصير على مثل هذه الحال . ثم تنبه أخيراً إلى أن الليل قد مضى منه أكثره . فضلا عن أنه قد أوغل فى سراه . حتى كادت قريته أن تتوارى عن ناظره فقفل راجعاً وقد بيت فى نفسه أن يرحل إلى القاهرة عندما يتنفس الصبح . فينتظم باحدى كتائب المتطوعين . ومن ثم يرحل إلى « الميدان »

كان قد بقى يوم أو يومان على انتهاء مرحلة تدريبه وكان قد تعود فى أيامه الأخيرة . أن يصعد أصيل كل يوم . سطح المنزل الذى يقطنه . فيمكث هناك إلى قبيل الغروب لا يحول نظره عن علم يخفق على سارية أحد المصانع حياله . غير أنه كان قد انصرف عن صاحبته « وداد » تماما لظنه أنها ربما تكون قد زهدت فيه . أو رغبت عنه لمخالفته لها . وخروجه

على إرادتها على حين أنها كانت تنتظر فى هذا اليوم صعوده إلى السطح بتوق ولهف فما كاد يصعد حتى تبعته واستدار اليها كأنما أزعجه قدومها المباغت . وأقبلت تقول وهى متئدة تقول فى تيه الحسان ودل الجميلات : « ماالذى يسترعى انتباهك ياشيخ جمال » فولاها ظهره . واتجه إلى العلم . وهمهم : ألا يستلفتك اليه هذا الخفاق .. لشد ما أنا خائف أن يكف عن ذلك !

فعادت تسأله وقد أرسلت نظرها إلى العلم : « وما الذى يجعله يكف ؟ » فدنا منها . وأخذ راحتها بين يديه وأجابها وهو يضغط عليها : « عندما تكف دماء أباة الضيم عن أن تراق حول ركازه » . فانفرجت شفتاها عن ابتسامة عذبة وضيئة قالت بعد أن سلبت منه راحتها فى لطف : « إنه يجب أن يظل خفاقا حتى يرث الله الارض ومن عليها .. ! » . قالت ذلك واستدارت منصرفة عنه كما جاءت اليه متئدة بينما ظل هو واقفا يتأملها فى دهشة واستغراب من أمرها . حتى توارت عنه هابطة فى ثنايا الدرج

وفى صبيحة أحد الأيام شاهد مواطنو القاهرة . كتيبة من الفدائيين الأشداء . باسلة جأواء . تنطلق فى الشارع فى سيرها إلى القطار الذى سيقلها إلى « السويس » ومن خلفها كانت تسير كتيبة أخرى من الفتيات « الفدائيات » . بين تصفيق المواطنين الذين تزاحموا على جانبى الشارع . وزغاريد المواطنات فى الشرفات والنوافذ . وقد طغى قرع الطبول على هذا وذاك بينما سارت الكتيبتان تكادان أن تخرقا الأرض خرقا وفى المقدمة سار حامل العلم الفدائى « الشيخ جمال » .

وهناك فى القطار أخذ الجنود يتعانقون ويتصافحون وفيما كان « الشيخ جمال » يستدير متفقداً أحد زملائه رأى « وداد » وقد جلست فى صف « الفدائيات » تنظر اليه مبتسمة برأسها ترقص فى محياها ابتسامة النصر والظفر . فهرول نحوها وهتف وهو لا يكاد يصدق عينيه : « وداد .. أهذه أنت ؟ لم فعلت ذلك يا وداد ؟ » . فأجابته وعلى شفتيها ابتسامة كانت أعرض فى هذه المرة من كل ابتساماتها السالفة : « ليظل خفاقا يا شيخ جمال »

وهنالك انبعث صفير القطار إيذاناً بالرحيل . على حين ارتفعت أصوات المواطنين تقصف كالرعود :

لبيك وادى النيل لبيك .. .

دم الشباب وقف عليك

---

obeikandl.com

يوم المظاهرة الصامتة

من بين معارفى من الزملاء صديق امتاز بشعوره المرهف وحسه الدقيق . وذكائه المتوقد فضلا عن دماثة خلقه وكرم سجاياه وحميد خلاله ...

والغريب أنه لا يلاقيك أو تلاقيه . أو يجلس إليك أو تجلس إليه . إلا وتشهد هالة غريبة عجيبة تحيط به . على أنك لا تستطيع أن تدرك كنه هذه الهالة الغريبة العجيبة . وكل ماهنالك أنها تحملك على احترامه . وتجبرك على تحيته وتجلته فإذا ماجلست إليه وحدثك . أحسست بونا شاسعا بينك . وشعرت بفارق كبير لذلك فأنت لا تملك إلا أن تصغى وتصغى بكل حواسك وجوارحك . لا تؤاخذنى - يا زميلى - إن أنا حكمت عليك بذلك : فذلك هو عين شعورى عندما أجلس إليه أو يجلس إلى . أو ألاقيه أو يلاقينى

ما علينا - فإنى ما كدت أبلج باب حجرتى ، عقب عودتى من « المظاهـــرة الصامتة » وأشرع فى تبديل ملابسى ، حتى فوجئت به يدخل على ، بعد غيبة استغرقت أياماً - ويقول - دون أن يقرأ سلاماً أو يلقى تحية - : « ويلكم .. بالأمس ملأتم الدنيا صياحا وعويلا ، ثم جئتم اليوم لتتظاهروا صامتين ولعمرى لست أعرف أو أرى لتظاهركم هذا موجباً أو مبرراً فما معنى ذلك ؟ . ولما رآنى أحملق فيه ذاهلا قال : « ولم الدهشة ؟ إنك واحد من الملايين الذين قاموا بمظاهرة اليوم . فهل فى مقدورك أن تطلعنى على مبررها وموجبها وتحدثنى - ولو قليلا - عن الوطن والوطنية . هذين اللذين صدعتم بهما رؤوسنا ؟ » . قال ذلك واستلقى على أول مقعد صادفه فجلست تجاهه . فى حيرة من أمره . وعذاب من حديثه . وألم من منطقة هذا السقيم . وقد عقدت الدهشة لسانى . وكأنما أستكثر عليه صمتى فعاد يلح فى الجواب فأجبته وقد بدأت السخرية منه تتطرق إلى نفسى : « الوطن .. . وما أدراك وأمثالك ما الوطن ؟

الوطن يا صاح : إسم إذا ذكر أحسست صداه يتجاوب في أركان فؤادي . فما بالك بحقيقة الوطن ؟

الوطن ياهذا : هو ذلك القدس المقدس . الذي يتبدى لي دائما ذا روعة وجلال . وبهاء وجمال . فإذا حاولت أن أترجم بلساني أو قلمي عن تلك المعاني . اعتاص علي ذلك لأن وراءه فوق تفكيري وأسمى من تعبيري !

ياصديقي ياصديقي إنه عهد طويل . وعمر مديد . ذلك الذي قضاه وادي النيل بين النار والحديد . إنها سبعون عاما متوالية متوالية ـ أو تزيد ـ تلك التي قضاها الغاصبون ـ البريطانيون في الارض الطيبة . بالرغم من ذويها وأهلها نهبوا فيها كل تليد وسلبوا كل طريف وتركونا جياعا . وأكلوا « كل الرغيف » بينما جرعونا كئوس الردى . وساموناسوء العذاب !

ياصديقي ياصديقي : إنهـــا سبعون عاما حفلت بالدماء وزخرت بالوحشية . وفاضت بالخداع والغدر وإنه لايخلو يوم من أيامها عن حادثة دامية . اقترفها الإنجليز وأدمت فيه أشواكهم

أجسادنا وأفقدتنا معاً .. لكأني بالأرض المقدسة قد عافت أن تكرع دماء شهدائها الأبرار وأبت إلا أن تسطر بها صرخة الأجيال في كل مكان وطأته أقدام القراصنة .. هذه الصرخة : « هنا مر انكليزي »

وأخيراً .. وأخيراً آن للشعب المنكوب أن يهب من رقدته ويفيق من غفوته ثم طفق لكل مواطن يكشف لأخيه عن الجروح التي خلفتها به سهام الإنجليز وأظفارهم ثم هبوا جميعاً واتجهوا نحو الحكام متسائلين : « إلام الخنوع ؟ فأجابهم الوطنيون من الحكام متسائلين : « وحتام نشكو ولا نستطيع؟ » وعاد الشعب الأبي يسائل حكامه : « وإلى متى نذرف فيض الدموع » هيا بنا لنؤكد للغاصبين أننا قد عقدنا العزم على طردهم من ديارنا ـ رضوا أم لم يرضوا ـ هيا بنا لندلل لهم على أننا قد أجدنا لغة القوة التي لا يفهمون سواها ولا يدعنون إلا لها تعالوا معنا لنريهم كيف وأننا جميعاً متضامنون ومتحدون ـ في غير نشاز ـ على العيش في وطن تسوده الحرية وينعم

بالعزة والكرامة تحيا فيه مذهبنا الحق ودينا السلام .

ولم يهتم ليل اليوم أربعة عشر من شهر أكتوبر ان عسعس، وصبحه ان تنفس، وخرج المواطنون على اختلاف الوانهم وطبقاتهم في المدائن والحواضر والاقاليم، يطوفون في فجاجات الشوارع وساحات الميادين صامتين ولقد شاهدت ما لست ناسيه وان انساه ما بقيت ... شاهدت موكباً قد امتد إلى امام وخلف حتى انه لا يبلغ الطرف مداه واتسع عن يمين وشمال فلست احد اقصاه انتظم جميع ابناء المدينة وما جاورها من قرى الريف ولقد كنت اطالع آيات الوطنية الصادقة في كل وجه اراه وحتى الريفيين كنت اطالع ذلك على وجوههم في إبانة ووضوح بيد انهم اولئك الذين انهمناهم لطيبتهم وما انطوت اليه نفوسهم من طهارة وسماحة بالسذاجة والبله

وتحرك الموكب التاريخي يؤمه رجالات الدين والقضاء فرجال العلم فطلابه . فالعامة وقد تلاصقوا بالمناكب حتى لكانهم الجسد الواحد تفرعت منه آلاف الرؤس في جو من الصمت العميق كأن على رؤوسهم الطير تهيب سيماهم عن مدى تبرمهم وضجرهم وضيقهم بالاستعمار والمستعمرين !

وهكذا ظلوا يسيرون حتى طافوا بكافة أنحاء المدينة ثم انصرفوا كما أتوا كل إلى حيث جاء فكانت لهم رهبة وكانت لهم روعة وكان لهم جلال وهيبة ! » وهنا حز فى نفسى أن يقاطعنى صديق قائلا - فى تهكم واستخفاف مريرين - : لنسلم جدلا بما قلت ولكنى أسائلك : أى نفع عاد على الوطن من كل هذا ؟ » وكان قد بلغ منى الغضب أقصاه والغيظ مداه فأجبته فى ثورة مباغتة : « ما بالك ياصاحبى تبدى لى اليوم إنساناً غريبا أنكره يناقض ذلك الإنسان الذى كان يحلو لى دائما أن أقلده فيما يأخذ وفيما يدع وفيما يقول وفيما يفعل .. ألست تدرك أنك برأيك هذا المأفون وعاطفتك تلك السقيمة تجحد حقيقة محسوسة بادية للعيان ؟ »

فقال وهو يتكلف التمطى ويستجلب التثاؤب فيأكل الأحرف الاخيرة من كلماته : « بحسبك .. شتم .. وعرفنى هذه الحقيقة المحسوسة البادية للعيان »

ونبهني كلامه إلى شقيقي له وتطاول عليه في منزل فأسفت لذلك بعض الشيء . ومضيت أجيبه : من هذا اليوم - يا أخي الحميد - بيننا لذلك الشرذمة من خسارة الأدنياء . مبلغ إصرارنا على نيل مطالبنا . واسترداد ما سلبنا . ففوجئوا بأنفسهم تجاه الأمر الواقع . عسى أننا أثبتنا لدول العالم طرا . أننا - أمة وادي النيل - أمة كانت منذ القدم أصل الحضارة . وهي اليوم لا تقل عن أرقى الأمم حضارة ومدنية وثقافة ورقيا . كما أثبتنا للعالم أجمع . أن كل ما بهتنا به القراصنة . من أننا أمة بدائية لم تساير العالم في تطوره وتقدمه - الأمر الذي دخلوا بسببه بلادنا - لم يكن سوى محض كذب وافتراء . وزور مختلق .

كل هذا . فضلا عن أن نجاح المظاهرات وانتهاؤها سالمة . في شتى مناحي القطر . كان بمثابة السهام . المسمومة أصبنا بها الإنجليز وحلفاءهم . إذ كانوا يتوقعون أنها ستكون للسلب والنهب . والتدمير والتحطيم . فيأخذون علينا ذلك أمام الدول . ولكنها جاءت منافية لما ظنوا وعرفوا أنهم كانوا

متعلقين بوهم ليس كمثله وهم . إذ تجلت فى المظاهرات كلها قوة . هى قوة الفراعنة . وحزم . هو حزم العرب فكان الصمت شعارها . والهدوء رمزها . والإباء مبسمها .

وها قد آمنت الدول بتلك القوة . الفرعونية . وهذا الحزم العربى . ولولا الحسد من عند أنفسهم . والامل الكاذب فى بلوغ مطامعهم . لأقرونا على هذا واعترفوا لنا به !

« فلتكثر ذئاب بريطانيا عواء . ولتدعى فى البلاد العز والقهر . ولتسبح فى الدماء بالناب والظفر . فليتهم وأذنابهم يعلمون أنهم ما فتحوا الشرق . وإنما فتحوا به قبوراً للغرب »

وهنا نهض باسما ودنا منى . ثم مال على فأحاط منكبى بذراعيه وقال . « هل ساءك قولى ؟ . فأجبته محتداً : « إن كل قول من قبيل قولك قد يقتل فضلا عن أن يسىء » فعاد يقول : « لقد كانت قدماى . تصطدمان بمؤخرة قدميك أثناء طواف الموكب بالمدينة »

فقلت وقد تبادرت إلى ذهنى حقيقة قصده . فطابت نفسى وهدأت ثائرتى . ولم أستطع أن أخفى ابتسامة غلبتنى : « إذا فما الذى دفعك إلى التكلم بما تكلمت به ؟ » فأجاب : « إنما فعلت ذلك لعلمى أننى لا أستطيع أن أخرجك من صمتك . وأسمع ما سمعت قبل أن:أثيرك وأستفزك »

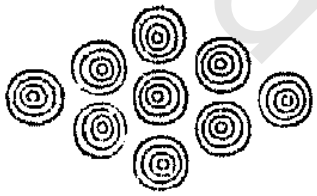

شقوة الماضى ويمن الحاضر

هو أستاذى غمرنى بحنان الابوة . تلك التى حرمنى إياها القدر ولم أزل بعد فى طى قاطى !

وأدركنى وأنا نهب موزع بين اليأس من الحياة والزهد فيها والرغبة عنها . فظل بى حتى أحال يأس الحالك فيها إلى أمل وضىء فيها . وزهدى فيها إلى عمـــل لها . ورغبتى عنها إلى كلف بهـــا

وبالامس القريب . حينما قلبت الاوضاع . وضرب الفساد فى أداة الحكم اطنابه وتفشى واستشرى . ودان حكام بلدنا السالفون بدين ملكهم . ذلك الذى قام ينشر فى القرن العشرين . شريعة الغاب . ويحمل رعيته من بنى الإنسان على اعتناق مذهب الظفر والناب . حتى كانوا فى غمرة هذا ـ ينحون باللائمة على كل من يطلع على المجتمع بمبدأ إصلاحى . ويصفدون

بالأغلال كل من يبدى تبرما بالضيم أو غيرة على الحق ويسفكون دم كل داعية دينى ويزهقون روح كل شهم أبى وتواضعوا فيما بينهم على أن يسموا المبادىء الخالقة المشيدة مبادىء هدامة يسيمون أصحابها صنوف العذاب التى سقتها بل كثيراً ما كانت أشد وأنكى وأبشع وأشنع !

وفى صبيحة يوم من أيامنا هذه الهنيئة وبينما كنت أقلب إحدى الصحف طالعنى نبأ اعتقالهم « بالثانوية العسكرية » فرجعت بى الذكرى إلى الماضى المربد الاسود وتجسمت فى ذاكرتى هذه الصورة :

فى حصة « الإنشاء » خط الاستاذ على « السبورة » هذا العنوان : « أكتب عن الفلاح المصرى وما يعانيه وواجب الحكومة نحوه » ثم استدار إلينا وجعل يحملق فى وجوهنا وأخيراً استقر نظره فى وجهى وابتسم ثم جلس وتركنا إلى الاقلام والكراسات وقبل أن أتناول القلم دارت فى رأسى هذه الافكار : ماذا على لو صرحت بحقيقة ما يعتلج فى نفسى ويغلى

فى صدرى دون مواربة أو مواراة ؟ .. وبوازع خفى وحافز مجهول جرى قلمى « الصغير » الهزيل يسجل على الصفحة هذه الكلمات :

« حقيق ـ والله ـ أن يوصف بصدق التعبير وجودته ذلك الذى عبر عن مصر بأنها بلد العجائب ومسرح المتناقضات وقينة بالدهشة والاستغراب والتعجب والعجب والاعجاب بـــلد تستحيل فيه الدماء إلى خمر والعرق إلى عطور وأطياب تملك بمسارب الانفاس فلقد يعرى بها قوم ليرفل فى حلل الوشى آخرون ويموت بها صنف من الناس جوعا وحرماناً وعناء وشقاء لا يعرفون الحياة إلا أقباساً من وهج اللوعة ولا العيش الاضروباً من عبقرية الالم متخذين من الاكواخ أو الدوريات أكناناً ليبتنى للصنف الآخر قصوراً شاهقة توشك ان تناطح السحاب يكدسونها بوثير الاساس وثمين الرياش وقيم التحف ورائع الصور ناعمين مع هذا بحياة من الهناءة وجنات السعادة ورياض النعيم وجل من قسم الحظوظ !

هناك ... في ريفنا المصري الجميل . حيث الطبيعة الطاهرة تعكس على نفوس أهله صورها فتعصمها من الآثام وتستل منها الضغائن والأحقاد . ترى هؤلاء المعذبين في الأرض ـ كما يقول أحدهم ـ أو بتعبير آخر . أسرى القدر . تراهم بأسمالهم الرثة الرعابيل الملطخة بالروث والطين . ونفوسهم المنكسرة وقلوبهم الدامية وصدورهم المنقبضة ووجوههم تلك التي صنعت بها الاحداث أخاديد لا تختلف ـ كبير اختلاف ـ عن هاته الاخاديد التي يصنعونها في الارض بمحاريثهم وأجسادهم التي نهشتها الآفات . وفرتها الميكروبات وسرت فيها العلل والاوباء . تراهم ـ رجالا ونساء وذراري ـ يتنقلون على أديم الارض حفاة الاقدام فتروعك بشاعة ما في أقدامهم من شقوق . ويحز في نفسك مرأي ما براحاتهم الكادحة المضناة من فتوق على أنه يمكنك ان تطالع بسهولة على صفحات هذه الوجوه المتجهمة . وتسمع من تلك القلوب الدامية . مآسي هؤلاء الناس « الفلاحين » . أولئك الذين استعبدهم « الباشوات »

واستخدموهم فى الارض الى جانب الانعام يلهبون بالسياط ظهورهم ويسخرونهم فيما تستنكف النفوس البشرية من ان تقوم به أو تؤديه فضلا عن ان تقدر عليه وما تهن دونه قوة بنى الانسان اللهم الا الفلاح فى مصر !

ويصيح العانى ويصيح .. ويجأر بالصياح ويجأر : رحماكم يا ولاة الامور رحماكم ورفقا بى رفقا انى بشر مثلكم لى شعورى الحى ووجدانى اليقظ وإن الدول الاخرى قد قدرت فلاحها حق قدره ووضعته فى مكانه اللائق به وعرفت فيه انه الذى يشقى ليسعد بقية افراد الامة وينصب لينعموا ويكدح ويكد ليهنأوا مثله فى ذلك كمثل الشمعة فى ذوبانها واحتراقها ضوء الآخرين ونورهم لذلك فهم قد اهتموا بتعليمه وتثقيفه وجازوه بإحسانه احساناً فأوجدوا له الآلات البخارية والكهربائية التى تولت عنه حرث الارض وبذر الحب وري الزرع وحصد الجنى دون ان يبذل هو من ناحيته جهداً يذكر اللهم الا الجلوس الى عجلة القيادة وكفلت له الى جانب كل أولئك عيشاً ناعماً

وحياة رخية . فلم تحدثوني واغتصبتم حقي وقضيتم على أن حيا وأموت ـ كما حييت ـ بين زافرات العاني وأنات الشاكي أو خلجات الجناح المهيض ؟!

ويصل هذا الجئير إلى آذان ولاة الأمور واهناً واهياً . كأنه يصدر من طيات القبور الغابرة ويذوب في مسامعهم بين نغمات الأوتار والصنوج في المراقص وقرع الكؤوس في البارات والصالات والهرج والقصف والعربدة في مكان السهرات الحمراء وفي الموائد الخضراء ...

وأني لهم ـ بالله ـ أن يسمعوا أو يستجيبوا وهم ذواتهم « الباشوات » ملاك الاقطاعيات . الذين يخشون إن هم ثقفوا الفلاح . أو وفروا عليه جهده أو أبقوا عليه دمه . أو جففوا عرقه الممزوج بدمعه يخشون إن هم فعلوا ذلك أن يتعسر عليهم إيجاد ثمن الخمر والملبس القشيب والمأكل الشهى وبعثرة الأموال تحت أقدام الراقصات . ونثرها على مواطئ الغانيات والكواعب الحسان وأجور المصايف في أوربا وبلاد الغرب .

آهة حرى ... وزفرة ولهي ولك الله يا فلاحنا المسكين واصبر فانه لن ينقضي طـويل وقت حتى ينتكث فتل دولة « الباشوات » وتتهدم أركانها ويتقوض بنيانها وتعصف بها قوة الرب القوي المتين ...

وأما أنا أيها الفلاح البائس . فشهد الله أنني أحيا من أجلك وأعيش لاثأر لك فان حيل بيني وبين ذلك فبحسبك قلبي يوحي إلي قلمي ومما يسجل القلم يمكنك أن تشتف إكسير العزاء ووجه الله باق أكرم بوجهه من قاض ومنتقم ...!»

هذا هو كل ما اعتلج في نفسي ـ إبانها ـ فسطرته وغلى في صدري فأعربت عنه وكأن « الشيخ » اشفق علي ـ انا الصغير ـ من الحكم الجائر والسيف الباغي وغياهب السجن المحلو لك فعقب لي بقلمه ما نصه : « اي بني : لك ان ترسم طريق الاصلاح الناجح وليس لك ان تجهر بما يسمونه « مبادىء هدامه » ومالك من سلاح دون قلمك وانت في زمن السيف والحكم والسجن فما يغنيك قلمك فتيلا ومن حقي عليك ان انصحك ومن حقك لي ان تنتصح فستكف وحسبك

ما تطالعه كل يوم من من قضايا واحكام سلام عليك ..
وإلى الأمام ؟ « احمد شلبيه »

واظنني الان - ياأخي - عندما اطرق هذا الموضوع ثانية لااكون كالجبان الذي يطلب الحرب وحده والنزال في مكان لا محارب فيه ولا منازل ... بل ومالي لا اطرقه واكتب فيه عن الحاضر والمستقبل الوضيئين . كما كتبت فيه - قبلا - عن الماضي الذي تماوجت فيه الدماء القانية والدموع الهامية والعرق الثرار ؟

سبحانك ياربي جلالك الحق يظهر وتتنوره الخلائق عندما تسمع السماء !

فهنالك تهبط الرحمات وتعم البركات ويحتفل الاشراق والنور مكان الظلمة والعبوس من الوجوه وتنقلب المآتم اعياداً والرث جديداً والاتراح افراحا والكل يتراقص نشوانا ويسجد لرب السماء حمداً وشكرانا ولا يبقى من مكان لبائك اوموضع لشاك اوموطىء لكئيب او حيز لحزين ولا تقع العين إلا على وجوه مسفرة . ضاحكة مستبشرة في الحق - ياأخي -

انني لم اشعر بأدني اثر يوم جلست مع الجالسين نستمع إلى « الراديو » يذيع تفاصيل الانقلاب وإنما كنت اجيب سائلي قائلا : « لا عليك ... إنه انقلاب قام لتنظيم الجيش بعد أن تفشت فيه الفوضى ولن يعود على او عليك نفع يذكر وعندما يحققون للجيش مطالبه سيتلاشى هذا الضجيج تماما كأن لم يكن .

وكذلك لم اشعر بأدني اثر يوم جلست مع الجالسين نستمع الى « الراديو » يذيع نبأ تأليف « الوزارة » واسناد رئاستها الى « علي ماهر » وانما كنت اجيب سائلي قائلا : « لا تدهش يا اخي انها قاعدة حفظناها من كثرة التكرار عن ظهر قلب : كلما مر اسبوعان . تقال الوزارة الحاضرة واعوانها ، وتوزر اخري واذنابها ولا تكاد الاولى تدبر والثانية تقبل حتي تقول المقبلة المدبرة انتم السابقون وانا بكم بعد اسبوعين للاحقون »

وعلى عادتي جلست مع الجالسين الى « الراديو » مترقباً بين حين وآخر بياناً يفصل ما آلت اليه حركة الجيش غير انه راعني ان البيان الذي انطلق به صوت « مذيع الثورة »

في هذه المرة لم يكن موجهاً الى الشعب وانما الى عدو الشعب ومضي المذيع يتلو البيان التاريخي بصوت خشن قوي تثير نبراته الوجدان والحمية وتوقظ لهجته من اغوار القلوب عواطف الوطنية حتي قال : « .. لذلك قد فوضني الجيش الممثل لقوة الشعب ان اطلب من جلالتكم التنازل عن العرش ... على ان يتم ذلك في موعد غايته الساعة الثانية عشرة من ظهر اليوم .. السبت الموافق ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٢ والرابع من ذي القعدة سنة ١٣٧١ ومغادرة البلاد الساعة قبل السادسة من مساء اليوم نفسه والجيش يحمل جلالتكم كل ما يترتب علي عدم النزول عن رغبة الشعب من نتائج » ولحظتئذ عـــرتني انتفاضة جارفة وزخر فؤادي بسعادة ما شككت ساعتها في انها لو قسمت علي كل من وما في العالم لوسعتهم جميعاً واعتملت في نفسي انفعالات مختلفة واحاسيس متضاربة ارغمتني ان اتخلى عن تحشمي ووقاري واقفز جائراً اذا فقد استيقظنا من رقدة العـــدم وقريباً قريباً يلتئم الخلل ما دمنا قد برئنا من علة العلل وما بقيت الا دمامل وبثور ضئيلة لن تلبث حتي تندمل بدوام العلاج ...

ومضت الأيام .. ليـــل يعسعس .. وصبح يتنفس وموكب النصر ماض يسحق فى سبيله الظلم العتيق ويزهق الباطل ويحق الحق . ودأبت الصحف « والراديو » على أن تسمعنا كل جديد طريف . وكان إلغاء الرتب والألقاب بداية برنامج كبير لأعمال كبيرة وإلى هنا كان « القائد نجيب » قد عاد بجنوده الى ثكناتهم ووقف عن كثب يرقب « على ماهر » يصوغ قرار تحديد الملكية الزراعية . ويؤلف لجان التطهير وتنظيم الأحزاب . حتى انتهى . ولم يبق إلا أن تخرج القرارات إلى حيز الوجود ..

وإنه لما يستدعى العجب حقاً . ويثير الاستغراب والدهشة أن نجد جماعة الاقطاع وقد رأوا الواقعة على قيد خطوات منهم يصيحون « بالقائد نجيب » : توقف .. فالدين الأسلامى يحرم تحديد الملكية .. يالله .. بل ويا للعجب العجاب الدين من أين ومتى ـ بالله ـ عرفتم الدين وليس فيكم من يحفظ الفاتحة ؟ .. الدين . (هل اتبعتم إمامه ؟ هل احترمتم نظامه ؟

هل نفذتم أحكامه ؟ هل حللتم حلاله وحرمتم حرامه ؟ . هل فيكم من تمكنه الإجابة ؟

وترتفع الصيحة العسكرية الجافة: ياعبيد المال والطين امتثلوا

وأخيراً يغفر الإقطاعى فاه . وتتسع حدقتاه . ويتحول إلى شبه مجنون ذاهل . ثم لا يتمالك أن يلقى برأسه بين راحيته ويروح فى صمت كصمت القبور وليت شعرى ماذا يملك لنفسه أن يصنع بعد أن استجابت السماء . فانتكث فتل دولة الإقطاع وتقوض بنيانها . وعصفت بها . قوة الرب القوى المتين . بل بعد ما جاء الحق وزهق الباطل ؟ .. إنها نبوءتى

مأساة

أى أخى وزميلى : عندما تنتهى من قراءة هذه المأساة لاريب أنك سترمينى بالخيال الجامح ، والفكر الشارد وذلك لأن غالبية كتابنا قد عودونا لوناً من القصص لا يتعدونه إلى غيره وضرباً من الروايات اتحدت فيه الفكر . واختلفت الاساليب والالفاظ .. والحق ـ يا أخى ـ أن فى الواقع المرير مافاق خيال الشعراء . ولا ينبئك عن ذلك مثل واله .. عان جريح . تلظى بملمات الحدثان .. وشب فى واد من الاحزان ومأساتى التى أسوقها اليك . مأساة أخ وزميل . ربطتنى به رابطة الزمالة الكريمة . ووحدتنى وإياه آصرة الاخوة فى الله . . ومر عام دون أن نلتقى وفى يوم ما . وفدت إلى منه رسالة بلغنى فيها أنه يئن من وطأة المرض . بل أنه يعانى سكرات الموت

ويقاسى غصصه . وأنه يتلقى علاجه لدى طبيب بمدينة (...) فوافيته هناك ؛ وألفيته مسجى على فراشه (كالفنن الزاوى نحولا ؛ وكالمغيب اصفراراً) وشهد الله أنه ما جال بخاطرى - ولم يكن ليجول - أن القدر سيقذف به - فى غير هوادة - بين مخالب المنون وأظفاره ؛ فيطوى شبابه الوريف ؛ ويدعه أغوار الرمس ؛ بعد أن مثل معه أبشع مأساة !

والآن - يا أخى - أسطرها لك ؛ وعيناى تهمان ؛ والدمع يتقاطر من مقلتى على الصفحة - بين يدى - فيندبها ويمضى قلمى على متنها وله صرير حزين ؛ كصوت الملتاع يبعث الزفرات .. والشجن يدر العبرات !

وسأسرد عليك - أولا - مقدمة يقتضيها سوق الحديث ؛ على أن أترك (جلال) يقص عليك بعدها مأساته !

(أى جـــلال : نم قريراً وصاحبتك ؛ فما زلت أذكرك وأستمطر لروحيـــكما - معاً - شآبيب الرحمـــة ؛ فلقد كنت قدوتى :

وكانت فى حياتك لى عظات

وأنت اليوم أوعظ منك حياً

فاليكما فى كنف الله قصتكما ، وإلى لقاء قريب فى هـــذا الكنف الكريم ..)

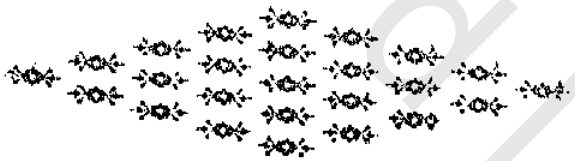

obeikandi.com

توفى أبوه بعيد مولده . فتربى بدون أب . فى رعاية عمه « العمـــدة » وكفالة والدته التى ما كاد يتخطى فى كنفها سن الخامسة حتى رحلت عنه بدورها . سالكة سبيل من غبر .. وألحقه عمه « بالكتاب « أسوة ببقية نشىء القرية . وأفسح له « فى الدوار الكبير » وأوصى به زوجته خيراً . وأغدق عليه من فيض حنانه ورأفته . وأحله من قلبه مكان الإبن لا سيما وأن زوجته تلك العقيم لم تنجب له إبناً ولا إبنة ولم يكن « جلال » ذلك الفتى الصغير اليتيم يرهب شيئاً أو يخافه . قدر رهبته وخوفه من زوج عمه . هاته التى قد حرمها القدر أغلى وأشهى ما تنشده وتشتهيه زوجة مثلها فى مقتبل العمر وميعة الصبا ورغد الحياة .. ! فصبت على القدر نقمتها ممثلة فى شخص « جلال » تهديداً ووعيداً . وضرباً وركلا . ولقد كانت الغيرة تهشمها نهشاً كلما رأت زوجها يداعب الصبى أو يقبله ملاطفاً على أن الصغير ما كان يجرأ على إطلاع عمه على مدى ما يقاسيه

منها من عنت وتعذيب . خاصة وأنها قد سكبت فى أذنيه الصغيرتين أن عقاب ذلك لا يقل عن الذبح بالسكين ..

ونشأ « جلال » . ونشأت فى صدره من جراء ذلك مرارة كانت تنضح على كل ما يصدر عنه أو منه من سلوكه فى الحياة وشب فى واد من الأحزان لا نهاية له : وليس من شىء يدلك على ذلك قدر صمته العميق : وعينيه الساجتين الزاخرتين بالحزن والألم : وابتسامته تلك التى كانت لا تفتأ تقطر جوى وعذاباً!

وإنه ليشعر بالراحة طالما هو خارج البيت الكبير بين جدران « الكتاب » الصغير : أما فى البيت فإنما هو فى جحيم مستعر : لا يعرف للراحة أو الإمن أو الاستقرار طعما اللهم إلا فى تلك الأوقات التى كان يجد فيها عمه جالساً تحت شجرة من أشجار الحديقة الواسعة الملحقة « بالدوار » يحتشى القهوة ويرتل الأذكار على حبات مسبحته الطويلة أو يقطع الوقت فى الحديث مع « الشيخ حسين » إمام المسجد « والحاج سليمان » تاجر القطن المعروف : فيهرع إليهم ويستمر معهم جذلا

بمداعبتهم له أو يلهو بتسلق الأشجار من حولهم ؛ أو قذف الأطيار بالحصى أو العبث بالزهور وذات أصيل . وفى جلسة كهذه الجلسات ؛ انتظمت « العمدة » والإمام « والحاج سليمان » كان موضوع حديثهم يدور حول (جلال) الذى احتفلوا بختامه القرآن ليلة أمس

قال الإمام . عند ما رأى (جلال) مقبلا عليهم : (أذكر أنك قد طالما حدثتنى (يا حضرة العمدة) عن رغبتك الملحة فى أن تلحق (جلال) بالأزهر حالما ينتهى من حفظ القرآن فهل يا ترى ما زلت عند وعدك ؟)

فأجابه (العمـــدة) بعد أن رشف من (فنجان القهوة) رشفة : (هل عهدت منى خلف الوعد (ياشيخ حسين) ؟ . ثم أردف (والله إن هذا الولد ملك على شغاف قلبى ، ولكم أود أن أراه قبل أن يوارينى التراب عالماً جليلا يزيد من قدرنا بين الناس)

فقال (الحاج سليمان) فى لهجة من يثنى على معروف :
(جزاك الله كل خير (ياحضرة العمدة) وأطال له ولنا بقاءك
ولا حـــرمه رعايتك وبرك :) ثم اعتدل فى جلسته : ونشأ
يتحدث بلهجة من طرأ له أمر : (لعلك تعلم أننى ألحقت ولدى
حلمى بالمدرسة الابتدائية منذ العام الماضى .. والحمد لله يمكنه
(وجلال) أن يعيشا سوياً فى مسكن واحد) .. وبر العمدة
بوعده ؛ ومضى (جلال) جاداً فى الدرس والتحصيل .فأبدى
نبوغا ؛ وأظهر تفوقا امتاز بهما لدى أساتذته ؛ ودماثة خلق :
وطيبة قلب وصفاء سريره وروح شفافة ، جعلته يعيش فى قلوب
زملائه وأترابه ، أولئك الذين قدسوا فيه الصمت والحزن آه ..
يا لهذا الصوت الحبيب .. ليتك كنت معى يا أخى وقارئى
لحظتئذ كان صوت (جلال) ذلك العذب الشجى الذى يمزق
نياط القلوب : ينفذ إلى أغوار فؤادى قائلا : (ومضينا ـ أنا
و (حلمى) نحـــرز النصر فى كل عام ؛ ونحوز قصب السبق
فى كل امتحان هو فى مدرسته وأنا فى معهدى واجتزنا سويا

مراحل الطفولة وبدأنا مرحلة الشباب : إذ كان فى مثل سنى وكبرنا ، وكبر فى قلبينا إخلاص كل منا للآخر ، وكنا لا نكاد نفترق خاصة فى (عطلة الصيف) فى القرية ، إذ كنت دائماً فى مسيس الحاجة إليه، ليسرى عنى، ويرفع عن كواهلى تلك الاحمال من الالم ، الذى لم يكن ثمة من يعرف مصدره سواه ولا ريق ـ كذلك ـ بين يديه فيض عبراتى ، ومر شكاتى من زوجة عمى تلك التى أضحت تشعرنى من طريق غير مباشر بأننى عالة على عمى الذى لولاه ماوجدت من أعتمد عليه فى الحياة ، وأن والدى كان قد أتى على ما يملكه من الارض بيعاً ؟ قبل أن يموت ـ أضحت تشعرنى بذلك شابا ـ بعد أن استحال عليها ما كانت تصنعه بى طفلا

وكان (حلمى) يعزينى ويواسينى ، لذلك فقد لا أحجم و أتردد فى أن أضع بين يديه كل ما تملكه يداى من نقود ـ فى المدينة والقرية على السواء ـ إذ كان دائم الشكوى لى من والده : زاعما أنه يضن عليه بما يكفيه ويسد حاجته ، متهما إياه بإدمان الخمر ، وتعاطى المخدرات مدعما تهمته بتعثره

فى سيره الدراسى ، وتفوق عليه حتى سبقته بعام ، بعد أن كان يسبقنى بعام ، وكذلك كنت بدورى أعزيه وأواسيه ، وكم من مرة اندفعت إلى أبيه أقسم له الإيمان المحرجة ، أن ابنه برىء مما يرميه به ، براءة (الذئب) من دم يوسف ، فكان جوابه لى ، لا يختلف فى كل مرة عن قوله : (أنت كذاب ياشيخ جلال) لأننى رأيته يكرع الخمر ، وينفث دخان (الحشيش) رأى العين .. مرات ومرات ، فلا تحاول أن تخدعنى ، وأمسك على نفسك عناءها .. !) وكنت أعود أدراجى يائساً ، حتى أسر لى (حلمى) ذات يوم أنه يعتزم أن لا يواصل دراسته ، وأنه سيلتحق بوظيفة يعيش على راتبها وكان مصراً على ذلك إصراراً ، غير أننى استطعت أن أثنيه عن عزمه ، بعد ان اتفقنا على أن أضع كل ما يصلنى من نقود - إلى جانب ما يصله - تحت تصرفه ، وهكذا واصلنا الدراسة ومضى عام .. ووليه عام آخر .. وفرغت من الإمتحان واضطررت أن أخلفه فى المدينة ، وأرحل إلى القرية حتى

ينتهى من امتحانه الذى كان قد بقى لحلوله شهر وأيام ..

ومن القرية مضيت أبعث إليه بـــكل ما يقع لى من نقود حتى فرغ من امتحانه وعاد إلى القرية

واصطحبته ليلا إلى حيث اعتدنا أن نأخذ مجلسنا على ربوة بشاطىء النيل . تنمو عليها شجرة مورقة . تشبه - إلى حد بعيد - مظلة كبيرة . وما استوينا جالسين حتى وجدتنى أهمس له مشيراً إلى النيل : « أترى - يا أخاه - إلى الصفحة انعكست عليهـــا أضواء القمر الندية ؟ .. يا لسحر الليل ! . والله لولا مايتخللها من التموج والتكسرات ما شككـــت فى أنها مرآة من الفضة مصقولة .. ناهيك إلى ظلال النخيل والأشجار لدى الضفة المقابلة . وقد انعكست - هى الأخرى - على الصفحة المرتعشة فبدت كأنها العذارى وردن الماء مع الليل . ونضضن ثيابهن . ونزلن عاريات . فطالعتهن عين سار فوقفن مضطربات حياء وخجلا .. واعجبا : كأننى قبل الليلة كنت فى عمى عن تلك المعانى الساحرة ! »

هكذا وجدتنى أهمس له بوصف المشهد أمامى . فى طلاقة لم يتخللها تلعثم : ووجدته يرد فى دهش : « ويحك (يا جلال) إنك الليلة قد تبديت لى فى صورة الشاعر الحالم . وعهدى بك ـ دائماً ـ إما شاك أو باك . فما الذى طرأ يا ترى ؟ إن صدق الحدس فإن مابينك وبين زوجة عمك تحول من خصام إلى وئام وحرب إلى سلام . »

قلت : « وليس ذلك فقط بل ودعت الهموم إلى الأبد »

قال : « ومن متى ؟ »

قلت : « منذ شهر . شهر فقط »

قال : « أتقبر هموم ثمانية عشر عاماً فى جوف شهر ضيق صغير ؟ فى الحق أنه منطق لا يستساغ »

قلت : « بل ستستسيغ منطق عندما تعلم أنى (وجدتها) ! »

قال : « ومن هى التى وجدتها ؟ »

قلت : « حلم نفسى ! »

قال : « ومن تكون ؟ »

فقلت : « أخت روحى ! »

قال : « ومن تكون ؟ »

قلت : (هناءة قلبي !)

قال : (ومن تكون ؟) قلت : (ضالتى)

قال ـ ضجراً ـ : (ومن تكون ضالتك هذه أيها الحالم ؟)

قلت : (إنها .. (سمية) !)

ومضيت أسرد على مسمع (حلمى) كيف غادرت المدينة بعد الإمتحان. ووصلت القرية. وتوجهت من فورى إلى البيت وعرجت على الحديقة عندما وجدت عمى جالساً وبرفقته رجل آخر غريب يرتدى الثياب العربيه ويطلق لحيته . فسلمت عليهما واستأذنت عمى فى الإنصراف لاستبدال ثيابى . غير أنه استوقفنى وبدأ يقدمنى إلى الرجل الغريب قائلا : (هذا جلال بن المرحوم أخى طالب فى الأزهر) ثم أشار إلى الرجل وخاطبنى (وهذا والدك الحاج سلام الشابى) تاجر من فلسطين من قرية (بيت لحم) وقد غادر وطنه خلال الحرب . وشرفنا بنزوله

علينا . وهو يعتزم الإقامة هنا بيننا ومعاودة الإتجار وتأملت الرجل الذى كانت سيما الحزن الصامت بادية فى ملامحه وتقاطيع وجهه ولحيته التى وخطها الشيب تخلعت عليه مسحة من جلال ووقار ـ تأملته فى تقدير وإشفاق وكـــررت مصافحته منحنياً محيياً وانصرفت ـ فى عجـــلة ـ مزمعاً استبدال ملابسى المغبرة والإسراع بالعودة اليهما فى الحديقة لأسمع من الرجل قصص الكفاح والمكافحين فى فلسطين وقصدت الى حجرتى على الفور ماراً بحجرة الجلوس دون أن أنظر داخلها أو أعرج عليها فلقد عرفت فى الصوت الذى كان ينبعث منها أنه صوت زوجة عمى ولم تكن بى رغبة الى التسليم عليها أو حتى مجرد رؤياها وفى دقائق معدودة استبدلت ثيابى وخرجت من الحجرة مسرعا مجتازاً البهو الطويل الى الحديقة غير أنى اضطررت أن أقف قبالة حجرة الجلوس، عندما رأيت زوجة عمى قد وقفت ببابها وحلقت على حافتيه بذراعيها، وهتفت بى ـ لاول مرة فى عمرها الطويل : (أهلا وسهلا .. كيف الحال (يا شيخ جلال) ؟

وبحركة لاشعورية دنوت منها وجعلت أتأملها مليا ، انها زوجة عمى .. هى بعينها .. رباه : هل هذه حقيقة ، أم أضغاث أحلام ؟ ، انها تنادينى (يا شيخ جـــلال) .. وتسألنى عن الحال ، وتحتفى بمقدمى وترحب ، لالا .. هـذا محال ::: لابد وأن بى مسا من جنون أو خبل لابد وأنهـــا تسخر منى أو تتهكم بى ..

لكنها سرعان ما أخرجتنى من حيرتى وتساؤلى بيدها التى بسطتها الى فجأة وتلقت بها راحتى هاشة باشة ثم جذبتها عندما انحنيت عليها أقبلها ، وهمهمت (أستغفر الله) ووقفت أمامها ناصبا قامتى حانياً رأسى منتظراً أمرها لى بالإنصراف ، على أنها بدلا من أن تصرفنى تنحت عن مدخل الحجرة وقالت (أدخل ياشيخ خلال) قلت (معذرة :: انى عمى و الضيف فى انتظارى بالحديقة) فقالت (أدخل فلن تمكث الا ريثما تسلم على الضيفة) وولجت باب الحجرة ، فإذا أنا أمام نموذج صادق للجمال الرائع الحزين فتاة لا تتجاوز ربيعها السابع عشر فى سيماها حنان الطبيعة

وفى عينيها صفاء الشريعة وفى خديها حمرة الورد :: وفى خصلات شعرها التى نفرت من تحت الحجاب : الذى غطت به رأسها ولفته على منكبيها بريق الذهب توحى قسماتها بمعان يفنى البيان ولا يترجمها يارب :: انها ذات الصورة التى أودعتها فؤادى منذ افتقرت إلى الحنان ـ واشتدت حاجتى الى الحب : بل هى ضالتى التى جعلت لهـــا الطبيعة صوراً فى قلبى ، وجعلت منها انساناً لعينى :::

ونهضت لاستقبالى فى خفر وحياء : فمددت اليها يداً مضطربة تلقتها بيد لم تكن بأقل اضطراباً : فما احتوت يدى عليها حتى ضغطت عليها ضغطة أودعتها كل ماجال فى نفسى من مشاعر وأحاسيس فرفعت رأسها ، فقرأت فى عينيها الحالمتين تجاوب شعورى وتلبية ندائى ، وتراجعت بظهرى ، دون أن أغض عنها طرفى حتى عثرت بالمقعد فهويت عليه وجلست :: وأنا لا أستطيع أن أصرف ناظرى عن هذه المعانى والمثل ، تلك التى قد طالما نشدتها ، وسلكت فى البحث عنها كل اتجاه ، ضارباً فى متاهات

الحياة ، وأخيراً هاهى.. قد هبطت على ، ومثلت أمامى واستقرت حيالى ، وجلست فى قبالتى

وساءلت نفسى وأنا ماأزال فى غشيتى من سناها وروعتى من بهاها ، ترى من هى ؟ وأين كانت ؟؛ وسرعان ماانبعث صوت زوجة عمى ، التى أخذت مكانها بجوارها يقول : (هذه سمية) بنت (الحاج سلام) الجالس مع عمك فى الحديقة) فتململت الفتاة فى مجلسها وقالت فى حياء بلهجة عربية كلهجة أبيها : (أجل أنا (سمية) ابنة (الحاج سلام)

وذكرنى صوتها بصوت والدتى الحبيب ، وكدت أسبح فى أحزانى لولا أن انبعث صوت زوجة عمى تتمم مابدأت ، وهذا (الشيخ جلال) بن المرحوم شقيق (العمدة) طالب فى الازهر ، وقد حضر لقضاء عطلة الصيف) فرفعت (سمية) نظرها الى ، وتناجينا باللحاظ والقلوب فى أقل من اللحظة ، ولمحت على وجهها الحزين شبح إشراقة فرح وارتياح ، وعلى شفتيها الورديتين طيفا لابتسامة طمأنينة ورضا لمحت هذا الشبح

وذلك الطيف - فأيقظا فى نفسى الأمل ، وملأ فؤادى سعادة ونعيما - ومكثت لاأملك لناظرى عنها مصرفا - حتى أغضت حياء ووجدتها تختلس الى النظر من خلال اطراقها اختلاسا فاطرقت بدورى لا أدرى حياء أم من مهابتها اطراقا وحينما بدأت أختلس اليها النظر من خلال اطراقى كانت هى الأخرى تهم بفعل ذلك فكانت « مناورة أو اصطدام » أرغم كلانا على الابتسام .. وأخيراً استأذنتهما - على كره - وانصرفت الى عمى (والحاج سلام)

وبحديثى الى الرجل ، وحديثه الى ، عرفت أنه تعرف الى عمى مصادفة فى القاهرة من سنوات والتقيا هناك بعد ذلك مراراً ، فقد كان كثير القدوم اليها بحكم أعماله التجارية حيث كان يورد سلعا من فلسطين ويستورد أخرى من القاهرة وكان مما قاله لى الرجل ضمن حديثه : (وبينما كنا - أنا وزوجتى وأبنتاى - جالسين الى الموقد ذات ليلة قرة نعقب بحديثنا على أصوات الانفجار وأزيز الطائرات ، وطلقات المدافع تلك التى

كانت تهز بنا البيت هزاً . كأنها الزلازل المحطمة . وترج زجاج النوافذ رجا . كأنها العواصف الهوج . اقتحم علينا البيت أربعة من اليهود . وهاجمونا حيث كنا بالسين . ففزعنا جميعاً وحاولت زوجتي أن تصيح فما هالني من أحدهم إلا أن تقدم منها . وركلها بقدمه في بطنها ركلة أسقطتها تتلوى . ثم .. لم تلبث إلا أن فقدت الحراك . فانحنى عليها وانتزع من جيدها ما به من حلى . وانحنى آخر . فنزع قرطيها من أذنيها تنزعاً . بينما كان الثالث قد ألجأني إلى ركن من أركان الحجرة . ومن خلفي ابنتي « سمية » وقد عقدت ذراعيها حول وسطي . محتمية بي ووضع ذؤابه « سنكيه » على قلبي يحذرني الحراك . ويسخر من ضراعتي إليهم وتوسلي أن يرحموا شيخوختي وعجز ابنتي . على حين كان الرابع قد انفرد بابنتي الكبرى « شامة » في الركن المقابل . وانتزع منها كل ما كانت تتحلى به من ذهب وماس . وحاول بعد ذلك أن يغتصبها أثمن وأغلى ما تملك الفتاة فما أن هم بذلك حتى استجمعت قواها . وأودعتها كفها . وصفعة

صفعة أطارت من عينه الشرر. وأشعلت فى رأسه ضرام الغضب فاستل « سنكيه » وأجهز عليها . وبقر بطنها . فسقطت بدورها حاملة أمعاءها بين كفيها .. فتحول عنها إلى « الدولاب » الذى كان على يمينه . وحطمه بغية العثور على المال . فلما لم يجد به مالا مزق ما به من ملابس . وبعثرها فى أرجاء المكان . وغادر الحجرة يتبعه آخر . إلى حيث طافا بغرف البيت الباقية . محطمين كل ما وقع تحت أيديهما . وكافة ما صادفهما . وبقى الآخران يتناوبان صفعى تارة وركلى أخرى ووخزى بالسنكى ثالثة يحملان بذلك على أن أدلهما على مخبأ مالى . ولما كلا من ضربى أخذ أحدهما يفتشنى . فما عثر على شىء لأننى كنت قد خبأته فى مكان من ثيابى ما كان ليتجه اليه تفكير أذكى الأذكياء وأخيراً وبعد أن أحالوا عامر البيت خراباً ودمروا به تدميراً إقتادونا ـ أنا « وسمية » ـ إلى الخارج تاركين جثة الزوجة والإبنة ملقاتين على أرض الحجرة محطمتين كـكل ما كان باليت . وساقونا يتقدمنا اثنان منهما ويتبعنا آخران قد ثبت ـ كلاهما ـ

« سنكيه » فى ظهرى وظهر « سمية » وسرنا مستسلمين لا يستطيع أحدنا مقاومة أو حراكا ولا يملك أحدنا إلا دموعا تسترسل من عينيه فى هدوء وصمت عميقين مريرين بين الصيحات والصرخات والعويل الذى ما كان يخمد فى بيت القرية إلا لينبعث من الآخر فلقد هاجم اليهود البلدة فى تلك الليلة القاتمة النحسة وبينا نحن نسير على حالنا هذه إذ قابلتنا امرأة فارة من بيتها إلى فجاج الشارع عارية هالعة تولول صارخة : زوجى : أولادى » فتلقاها أحد السائرين أمامنا برصاصة من قذافته أسكتتها إلى الأبد ؛ وضربوا بنا فى الصحراء حيث كنا لانسمع إلا الطلقات الصادرة من القرية وأنين الرياح

وفجأة توقفوا بنا واستدار أحد المتقدمين إلى « سمية » واحتواها بين ذراعيه عنوة ؛ ووقع بها على الأرض ، فهممت أتحفز إلى الانقضاض عليه ؛ وما كدت أفعل حتى كان الثلاثة قد أحاطونى وثبت كل سلاحه على موضع من جسدى وصاح أحدهم بى : « إياك يا كلب » لن نقتلك حتى ترى بعينك كيف

ينال كل منا ما يشتهى من ابنتك بالتوالى ؟ ووقفت أتابع الوحش بعينين هامتين وقلب يكاد يثب من مكمنه من هول الفجيعة وجعلت أنظره وهو يحاول جاهداً أن ينضى عنها سترتها بينما راحت تقاومه بكل ما أوتيت من قوة ومهما يكن فإنها فتاة ؛ وهل يمكن الفتاة أن تصد رجلا ؟ وأوشكت قواها أن تهن وتكف عن المقاومة وأمسك الوحش بسترتها وفى نفس اللحظة حملت إلينا الريح صوت سيارة ثم ما لبثت أن تبينتها كما تبينها الوحوش وكانت تدنو منا فى سرعة الطائرة فوجدت الثلاثة أداروا الى ظهورهم وأطلقوا سيقانهم يسابقون الريح وفى نفس اللحظة أيضاً دب فى جسدى ما فقدته من القوى تحت وطأة التعذيب فانحيت مسرعا وتناولت مدية الوحش التى كانت قد سقطت على الأرض بجواره أثناء محاولاته مع « سمية » ورفعت بها وأودعتها ظهره حتى مقبضها فانقلب على جنبه وسكت تماماً كزوجتى وابنتى والمرأة التى أسكتها برصاصته وتحولت عنه إلى « سمية » وكانت فى غيبوبة ووسدت رأسها

صدرى . ونشأت أحرك أطرافها حتى أفاقت . ووصلت الينا السيارة . وتوقفت لمرآنا فى هذا المكان الموحش . وهبط منها ثلة من الجنود . عرفت من هجتهم وهيأتهم أنهم مصريون فى طريقهم إلى « بيت لحم » ليجلوا عنها اليهود . الذين هاجموها وقصصت على الضابط قصتى . فأخبرنا أنه من حسن حظنا أن سيارتهم الوحيدة هى التى سلكت هذا الطريق ثم وكل بنا جندياً وأوصاه فأنفدنا إلى محلة بعيدة عن هجمات اليهود فمكثنا هناك حيناً . ولقد أضحى بغيضاً الى نفسى . ثقيلا على قلبى . أن أرجع إلى القرية التى قتلت فيها زوجتى وابنتى على مرأى منى وبين يدى فيممت مصرا ، وقصدت عمك - صديق القديم - وهأنذا » ثم صمت الرجل ، واستهلت عيناه بعبرة مدرارا

انقلبت إلى فراشى قبل منتصف الليل بساعة وركزت ناظرى فى الجدار الذى يفصل بينى وبين « سمية » وأخذت أستعرض فى ذاكرتى حوادث المأساة التى صردها على الرجل بدموعه: زوجته راقدة جثة هامدة ؛ وابنته إلى جوارها مضرجة

فى دماها وأخيراً « سمية » ملقاة على الرمال تجاهد وحشاً ضارباً يحاول أن ... غير أنى حمدت الله أنه لم ينل منها بغيته وإذا فهذا هو السر فى تلك المسحة من الألم البادى على وجهها حمداً لله وشكراً للطبيعة التى توقع الطيور على أشكالها ولا تؤلف بين النقيضين هى ولهى وأنا عان هى جريح وأنا مثلها وإن تضاربت الأساليب وتنوعت الطرق كلانا ضارب فى عالم من الأحزان وكلانا ذاق ملمات الحدثان هى التى لا تعرف سوى لغتى وأنا الذى ما عرفت غير لغتها فيسير علينا أن نتفاهم تواسينى وأعزيها وأتوجع من أجلها وتبكى من أجلى وهل يشتف العزاء من غير قلب حزين ؟ وتذكرت ما كان أمر زوجة عمى معى وساءلت نفسى : لماذا غيرت معى سيرتها ؟ أتراها تطرق إلى قلبها الندم على ما سلف منها فبدأت تكفر عنه ؟ أم ماذا وزخرت رأسى بشتى الأسئـــلة من هذا القبيل وبقيت فى فراشى مسهداً أبحث عن مفتاح ما استغلق على من أمرها وأنشد مفك ما قد اعتاص على من الغازها المبهمة وتطاول ليـــلى وامتد وامتنع على المنام

وجافانى الكرى وأخيراً نهضت من فراشى على شقشقة العصافير تمجد بارئها وتعزف الالحان مختفية بمقدم يوم جديد وخرجت إلى (دووة المياه) أتوضأ لصلاة الصبح وفى سبيلى إلى هناك استوقفنى صوت ملائكى صادر من حجرة (سمية) عذب النغمة فيه شجى ورقة وضراعة وتبتل هادىء فى خفوت كأنه ينبعث من ثنايا القرون السحيقة وحق السماء :

لو تسلى به حديثة رزء لشفى داء صدرها الحران

كان الصوت يضرع قائلا : إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين . تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب الله اكبر ..

موسيقى لها جمال وروعة ، وتأثير فى ذات النفس ورهبة لولا خشيتى من أن تطالعنى عين وأنا فى وقفتى هذه ببابها فتظن بى الظنون لظللت واقفا به أصغى لهذه الموسيقى العذبة الحنون

الى ماشاء الله !

توضأت وأتممت صلاتى ، وبقيت جالسا على (السجادة) مطرقا برأسى أستعيد من مسامعى لذاذة ماسمعت من العذراء الطاهرة ، ونبهنى طرق خفيف على باب حجـــرتى فهتفت : (أدخل) ودخل الطارق فعرفت فيه (مرزوق) الخـــادم الصغير وقال وهو يغلق الباب خلفه : (صباح الخير ياشيخ جلال) ولم يمهلنى حتى أرد عليه تحية الصباح ، فواصل كلامه متسائلا (هل أحضرت لى معك (الدفية) التى وعدتنى بها ؟ لقد خجلت أن أسألك عنها بالامس لأنك كنت بادى التعب من السفر فاومأت له بالجلوس ريثما أتيته بها فتناولها وفض عنها لفافتها ولفها حول عنقه وطرح طرفيها على منكبيه وقام يخطر فى الحجرة جيئة وذهابا فرحا مزهوا ثم دنى منى وقال بلهجته البريئة (ربنا مايحرمنا منك) فلاح لى أن أسأله عما جد بالبيت علنى أستطيع أن أعرف بعضا مما أريد فبدأته بقولى : (هل راقتك (الدفية ؟) (يامرزوق) فاجاب (كثيراً إن

أحد من عيال البـــلدة لا يملك مثلها . واغتنمت فرصة فرحة فسألته : « أما سمعت زوجة عمى تتحدث عنى ؟ . » فأجاب : « سمعتها تتحدث عنك لوالدتها . وكانت هنا فى زيارتها من أيام » فسألته عما قالت . فقال : « لقد أسرت لوالدتها . وهى تشيعها لدى الباب الخارجى أنها تدرك مدى شغف « سيدى العمدة » وتوقه للخلف . وأنها قد أحست منه ميلا إلى سيدتى « سمية » منذ حلت هنا . وهى تخشى أن يتزوجها بغية أن تنجب له أولاداً . لذلك فهى ستعمل على زواجك أنت منها » . وهكذا كما ترى وجدت فى كلام الغلام مفتاح ما استغلق من أمر زوجة عمى . وحل ما اعتاص على من ألغازها المبهمة . ومهما يكن من أمر . فإن هذا فى صالحى ::::

وسألته أخيراً منذ متى حل هنا « الحاج سلام ؟ » فأجاب منذ تسعة أيام . هو وسيدتى « سمية » ضمتنا جميعاً مائدة الإفطار وأخذت مكانى إلى يمين (سمية) وجعلنا خلال الطعام نتبادل الحديث الصامت بالنظرات الحانية وانتهينا من الطعام وهذا

وفى أصيل اليوم نفسه تركنى عمى (والحاج سلام) فى الحديقة . وانصرفا لزيارة والدك (الحاج سليمان) فى منزله ورحت أتنقل وحدى فى رحبات الحديقة. ولم يكن إذ ذاك يطوف بمخيلتى غير صورة (سمية) الحبيبة . وانتهى بى التنقل إلى ركن قصى . تعانقت فى شجرتان من شجرات الياسمين . وأصبح ما بينهما خلاء فكأنه الأجمة . وولجتها وانطرحت على ظهرى وجعلت أعبث بوردة بين أناملى . وأرهف فيها بصرى ولم لا ؟ . ألست أطالع وجه (سمية) فى تكوفها وثنا یاها ؟ ووجدتنى عن غير عمد أترنم بقول (بشار) :

فكأن لفظ حديثها * قطع الرياض كسين زهراً
وكأن تحت لسانها * هاروت ينفث فيه سحراً
خوراء إن نظرت اليك سقتك بالعينين خمراً

وهنالك انبعث صوت عذب كأنه هزيج الطيور . حبيب إلى نفسى حتى لكأنه ذوب جميع القلوب . ولست أدرى من أى ناحية صدر على وجه التحديد . وكل ما أعرفه أنه أخذنى من يمين وشمـــال . ومن فوق وتحت ؛ وناداني وهو يغنونى رويداً رويداً : (يالها من محظوظة تلك الوردة ولكن ما بالى لاأسمع لفظ حديثها ذلك الذى يشبه قطـــــــع الرياض كسين زهراً ولا أحس نغمـــة لحديثها ذلك الذى ينفث فيه هاروت سحراً ، ولا أرى لها عينين تسقى بهما الصادى خمـــراً أمن فصيلة الورود خلق الله بشراً ؟) وانتصبت قائماً لحظتئذ طالعت (سمية) تقف بمدخل الفرجة، فمددت لها يدى فشدت عليها وطفقت تقول مستأنفة حديثها : وعلى ذلك كان الاحرى بك أن تقول فى وردتك هذه العجيبة :

وحديثها السحر الحلال لو أنه ✡ لم يجن قتل المسلم المتحرز
إن طال لم يملل وإن هى أوجزت ✡ ود المحدث أنها لم توجز
شرك العقول ونزهة ما مثلها ✡ للمطمئن وعقله المستوفز

والحق أن وقع المفاجأة عقد لسانى، وخانني النطق واستغلق على : فما كنت أحلم أن الظروف ستقربنا هذه السرعة : فلما لحظت هى على ذلك دعتنى للسير : وانتهينا إلى مقعدين فى ناحية من الحديقة: وجلست فى تجاهها صامتاً أعبث فى الوردة: وكأننى أرى فى ذلك تخلصاً من ربكتى :: بالله :: ولكن :: لقد هيأت فى ذاكرتى بالامس ألف صورة وصورة للنجوى التى سأريقها على مسامعها عند أول لقاء :: ترى أين غابت عنى كل هذه الصور؟ ولم اعتاصت على ، وأخيراً فتح على فقلت ـ بينما أمسكت قلبى بيدى ـ : (أتعشقين الشعر يا أختاه ؟) وكأنما خلصها بدئى فى الحديث من غل أو قيد ، فانطلقت تجيب : (أجل يا أخى ولقد طالما صرفنى عن دروسى ::)

وعدت أسألها : (هل كنت فى مدرسة ؟)

فأجابت وقد ظهر عليها الاستئناس بى : (كنت فى السنة الثالثة الثانوية ، وكنت أبكر مع الصباح إلى المدرسة فى اول سيارة تمر بقريتنا إلى المدينة القريبة، غير انى اضطررت

أن أتوقف عن مواصلة دراستى حينما بدأت الحرب هناك :
وكنت :: (وألفيتها ستمضى فى قصتها فأشفقت أن يتطرق بها
الحديث إلى ذكراها الدامية «ولرب ذكرى جددت حزناً» فقطعت
عليها الحديث مغيراً دفته بأول ما طرأ على لسانى : (يبدو أنه
من تعلقك بالأدب قد أصبح له فى نفسك أثر كبير . لاسيما وأنك
قد تحدثت عن الوردة بما هو أروع مما تحدثت أنا به . معجزة)
فسألتنى فى لهجة تشوبها الدهشة : (من هى المعجزة ؟) فترددت
قبل أن أجيب (.. الوردة) . فعادت تسأل فى ابتسام
ودل : (وما وجه الإعجـــاز فيها وهى وردة كسكل الورد ؟)
واستخلصت من لهجتها ما شجعنى على الحديث . على أننى كنت قد
استأنست بها كما أنست إلى . ووجدت الفرصة مواتية فاهتبلتها
ومضيت أقول (لسمية) بصوت لم يسلم من تهدج واضطراب
(وجه الاعجاز فيها ـ ياأختاه ـ انها كانت دون الكثير من
الورود سواها مرتع نفسى ومراد سمعى وبصرى ، وربيع قلبى
وسلواى من كآبتى ، وأنيسى فى وحدتى ، ماوقع عليها ناظرى

لأول مرة حتى قدست فيها الجمال الحزين ، وأخذتني نضرتها البضة وما أصغت اليها سمعي حتى أسكرني أدبها الغض ، وما خلوت اليها حتى آنست منها حاشية رقيقة وناحية خفيفة ومعاشرة عذبة ، فأكرم بغيث جاد نبتها وعود حملها ، وكم تفتح عنها !) قلت ذلك وغضضت بريق فشاهدتها ترفع رأسها من إطراقها . وقد تصاعد الدم الا وجنتيها ولمعت عيناها بمعان متباينة وهي تقول : (في الحق أنك أنت المعجزة فقلبك كقلب كل شاعر (مرآة يتراءى فيها صور الكائنات صغيرها وكبيرها يرى الجمال في كل شيء يتناوله سمعه وبصره ، حتى في الزهرة الذابلة ، والنحلة الطائرة ، وفي مدارج النمل والجدث البالي . فهو من خياله في نعمة دائمة لا تنفد ولا تبلى) ألست تراك في آن واحد قد ترجمت ما اشتعجم على الوردة من نفسها ، وما زخر به فؤادك من معان ومشاعر ، والله لو أذن الله (للوردة) أن تبين لك عن شعورها وتفصح عن مكنون ضميرها لما وجدت لها معدى عن أن تنطق لك بنفس ما نطقت أنت به عنها ، بنضر

الصيغة وذات الإسلوب وعين اللهجة الحانية)

وأثملتني لهجتها ، فطفقت أسبح بخاطري وناظري معا في اللامحدود ، وبحر حديثها - ذلك السحر الحلال - في فؤادي ينابيع من السعادة لا تغيض ولا تجف ولو نهل منها كل من دب على الأرض ودرج ، وتراقصت أمام عيني في الأفق ألوان الطيف السبع . فغلتها الهناءة في ضروب وأنواع ، وتنبهت أخيراً الى طول مدة الصمت التي مرت بنا بعد حديثها . فنهضت قائما وطلبت اليها أن نطوف بارجاء الحديقة وسرت بمحاذاتها وإن أوصالي لرجفة ، وبقلبي لروعة ، وفي نفسي نشوة وهبت علينا إذ ذاك نسمة بليلة ندية ، أضفت على غبطة وخلعت على اطمئنانا أما سمية فانها ماتمالكت أن قالت بصوتها الحالم منقلة طرفها بين الأفق والفضاء ، والشمس الراحلة تلفظ آخر أنفاسها وقد بدأت الطبيعة تشق لها في جانب الأفق قبرا ترابه من الذهب . وينسج لها الأصيل على نوله كفنا من معصفرات الوشي . قالت : (يا أخي . إن بيني وبين هذه الساعة ود قديم فلقد طالما وقفت

أهتف بها مع الشعراء وأنادى . ولكم ناجيت الله بها وتنسمت في أعطافها نفحة الدين والحب ، تالله ، إن جلالها ليملأ قلبي وبصري وان جمالها ليستثير عقلي ، وإن حزنها وشجاها ليسترق لبي ويذيب مهجتي .. تأمل ياأخي حواشي جوها هذه المذهبة تهفو عليها أنفاس النسيم الندى وانظر الى الشجر كأنى به من طرب يميل ويميد ونقل طرفك ، واستمع وانصت للأوراق ترفرف ، والله لكأنها قلوب تختلج من هـزة الذكر ونشوة التوحيـد ..

في حفظ الله وصونه أيتها الشمس الغاربة .. آه . رحماك إن جنوحك للمغيب يمض فؤادى كـكل شيء يذهب لا بد وأن يحزن له بعض من في الوجـود ! قالت ذلك وهوت بمنكبها على عامود من سياج الحديقة فما راعنى إلا الدمع ينساب من مآقيها في تمهل وهوادة وهدوء . كانسياب الـكلام من فمها الجميل وهي ترد جملتها الأخيرة. فقربت وجهي اليها وقلت « سمية » .. أتبكين . بحسبك يا أختاه وهيا نعود إلى البيت

وتعودنا بعد ذلك أن نلتقي كل أصيل في الحديقة عند الأجمة بعيداً عن العيون . وما كنا نفترق إلا على أهبة لقاء ووشك ميعاد . واعتزلنا عالم الناس . ذلك الذي قام على شهوات التراب وغرائز الطين إلى عالم آخر دعامته حب وقوامه عفاف ومسالكه طهر وعماده تفكير في خلق السموات والأرض . واختلاف الليل والنهار وأسرار الطبيعة كل ذلك في جو من الحزن الباسم . أو الابتسام الحزين . ووجدت « سمية » تجري خلفها بقوة خفية وإذا نحن نعمل سوياً على تعرف حقيقة الجوهر الأصيل في الانسان . وهكذا أضحت « الاجمة » معبدي المقدس أهرع اليه كلما أذن مؤذن الاصيل وأجلس إلى « سمية » فتسرح بروحي في العوالم اللامرئية فتطالعني بأشياء رائعة خلابة سابحة في الصمت ولكنها قوية التعبير . ويحها ... لقد والله صهرتني معها في بوتقة وخلقتني من جديد . بل أشعرتني بأن كل ما وعيته في ذاكرتي . ومزجته بأحساس مما وصل اليه العباقرة والفلاسفة في كل مكان وزمان ليس إلا قشوراً

- لا أكثر ولا أقل - إذا قيس بما حواه محيط المعرفة اللامدركة . تلك التي كانت لا تفتأ تطالعني بها .

تومىء لي بلحظها الساحر الفتان فكأنها تقول : « اتبعني لنصل الى الجوهر »

رتبهت الزفرات وتطلق التنهدات فكأنها تهتف بي : « هلم لنعرف سر اللباب »

ناديتها : « سمية . . . يا أختاه »

فأجابت : « لبيك يا أخي »

فسألتها : « أتنامين الليل ؟ »

فأجابتني : « وإلله ما ليلى بنام صاحبه »

قلت لها . « وعلى ذلك فليس عسيراً علينا أن نلتقي هنا في السحر »

فقالت : « لعمري أنه مطلب سهل حبيب . كان لك فيه فضل السبق »

وقبعت في فراشي منذ أويت اليه . وفي هدأة الليل والهجعة جعلت أصيخ بسمعي : فلا أسمع من شيء غير دقات

الساعة في يدى و نبضات قلبي بين جنبي وأحدق فى الساعة التي تتلكأ ابطاء عقربيها أو كاد . الواحدة والنصف ... ودقيقة ودقيقتان . وبعد ثمان دقائق سأتسلل وأحدث الاشارة التى اتفقنا عليها فتسمعها وتأتي الى هذا ما كنت أهمس به لنفسى آنذاك ولكننى اضطربت عندما طرقت سمعى الاشارة التي اتفقنا عليها وعراني الانتفاض ... يالها من آنفة تأبى أن تقر الهزيمة أو تعترف بها ... رأت أننى حزت فضل السبق في اظهار الفكرة فأبت الا ان يكون لها ذلك في تنفيذها وايجادها وغادرت الفراش ممسكا أنفاسي . سائراً على اطراف قدمى محاذراً احداث ادنى حركة . حتى انتهيت الى باب حجرتي الخلفى ففتحته ودلفت منه الى الشرفة الموصلة الى الحديقة وعلى ناصية السلم الصغير طالعت « سمية » تشرق بابتسامتها هذه التي مازجها ضوء القمر . فزادها سحراً وزادته رفقاً . فدنوت منها وتأبطت ذراعها في صمت وهبطت معها السلم الى الحديقة فانسللنا من خلال منافذ الشجر وتخطينا احواض الزهر الى « الاجمة » او

« المعبد المقدس » فولجناها . وقبعنا متواجهين ، بينما بدأ ضوء القمر يتسلل الينا في الداخل كذوب النضار وقلت وانا اتأمل في تجاسي «راقصة بلال الماء» أتوابنا فردت علي بقولها « بل جلالتها الدموع ! » فقلت مستفربا « اى دموع ؟ » فأجابت « دموع الطلل في جفون الزهور والاغصان »

قلت « ويح للطلل . يدر دموعه على ارض لا تقدس الدموع شأنه في ذلك شأن الباكين من بني الانسان ! »

فردت بقولها « بل ويحك انت .. ان لنا في الدموع حياة فحياة الارض من دموع السماء . والبائس والهائم والشجى هؤلاء الذين يحيون حياة سادت افقها الظلال الربداء وطغت عليها الظلماء . كلها ليل لا نجمة في سمائه ولا قمر ينير غبراءه ولا بصيص من ضياء يحد من حلكتها هؤلاء انما يشقون طريقهم فيها على اشراق دموعهم ويمضون في وحشتها على انيس من صوت نحيبهم وجهيشهم »

فقلت وقد فعل قولها في نفسي فعله « عذار ... لقد

استتر على هـذا المعنى ياحبيبتى »

ولم انتبه الى نطقى باللفظ الاخير الا بعد ان صدر فرفعت يدي الى فمى بحـركة لا شعورية احاول ارجاعه ولـكنه قد سبق السيف العزل فبقيت حائراً مرتبكا وحسبت انها ستتغاضي عن لفظتى وتهملها . ولـكنها قالت باسمـة « لن تجد لك فى هذه المرة مخرجا . لانه ليست معك الآن «وردة» تسمع فيها قولك وعلى كل حال فهدى بك ان قلبك لسانك فهل ادخر من « يا حبيبتي » لفظها ام معناها ؟ » فاطرقت صامتاً فاستحثتنى على الجواب فقلت « هل تغفرين لى جرأتي اذا انـا اجبتك الجواب الحقيقي ؟ » فقالت « لك على ذلك » فاجبتها (خذى ان شئت من الكلمة لفظها وان شئت معناها او خذيها بلفظها ومعناها معـاً فذلك مالا يهمنى . وكل ما هنالك انى احبك واحبك من قرارة قلبي !)

فردت وقد شـاب لهجتها حياء (اما انا فلست احبك من قرارة قلبي فقلت متذعراً (ما الذي تقولين ؟) فاجابت وقـد

فطنت الى ذعرى وجزعى « نعم ... انا لا احبك من قرارة قلبي . وانما احبك بروحي وفي روحي يوجد حبك اذ انني لا اقر القائلين بأن الحب مقره القلب . وليت شعري كيف يتسع فراغ القلب ذلك الجرم المادي المحسوس الصغير لهذه الآفاق اللانهائية التي تحلق فيها الوقائع والاوهام والحقائق والخيالات والأحلام ؟ . طبيعي أنه لا يسع كل أولئك سوي الروح الطائف في طيرانه بكل السموات ! »

فقلت وبي ما بي « أحبك يا أختاه من القلب وبه وبالروح ومنهما ! »

وهكذا يا عزيزي (محمد) قضيت شهراً وهو كما رأيت كل ايامه اصيل وكل لياليه سحر فبهظني الله علي يد « سمية » خلفاً جديداً وما زالت زوجة عمي ـ الآن ـ تزكيني لديها وتطريها لدي ـ ولست اقرر ان اصور لك مبلغ سعادتها حينما ترى (سمية) بالقرب مني ـ او تراني بالقرب منهما ـ واظنه يمكنك بعد كل هذا ان تفهم لماذا فارقت الهموم فراقا ربما كان ابديا ـ واضحيت بواد والاتراح بواد ـ !!

فتمطى «حلمى» وتثاءب ؛ وبدأ يكلمنى بعدأن لزم الصمت طيلة حديثى له : « فقال ؛ ألم أنبئك من زمن بأن الله سيهبك عن صبرك المديد جزاء حسناً ؟ وصمت ريثما نظر فى ساعته . ثم أردف وهو ينهض واقفاً : هيا بنا ؛ فلقد كادت الساعة تجاوز الواحدة والثلث: وقدأغفلتنى نفسى فى غمرة حديثك هذا الطويل فنهضنا مودعين الربوة ..

وقلت له ونحن قافلين إلى القرية : لقد حل وقت اللقاء وسأذهب الآن فأجد « سمية » فى انتظارى بالشرفة على ناصية السلم : وتذكرت أن « سمية » كانت قد كشفت لى عن رغبتها فى نزهة فى زورق فى النيل .. فأطلعته على ذلك .. فأبدى استعداده لإحضار الزورق فى الليلة المقبلة

جلست فى المساء إلى جوار زوجة عمى فى حجرة الجلوس: متردداً فى أن أطلب منها السماح « لسمية » بالخروج معى .. فلما طالعت ترددى قالت : يبدو أنك تريد أن تسر إلى بشىء : فأجبتها : .. نعم .. إذا أذنت لى : فقالت .. قل ما بدا لك ..

فقلت لهما : بودى أن أستصحب « سمية » معى إلى النيل نرتاض لبعض الوقت .. ولا بأس من أن يرافقنا « مرزوق » فأبدت موافقتها قائلة : « خروجها أو عدم خروجها من حقك أنت أليست » وأمسكت عن الكلام ضاحكة :: .

وفى الزورق عرفت « سمية » « وحلمى » كلاهما بالآخر وقضينا فى النيل وقتاً هانئا عدنا بعده الى القرية ، وتكرر بعد ذلك مثل تلك النزهة ، وأصبح عاديا لدى أن يتردد (حلمى) على منزلى ويجالسنا أنا (وسمية) فى الحديقة والمنزل فضلا عن النيل كلما قصدناه ، ـ اليس هو صديق الوفى ، وخليلى الصفى ، وكاتم أسرارى ومفزعى فى الملمات ! ..

وعلى هذه الوتيرة مضت بنا أيام حتى حان حين الدراسه وآن لى أن أفارق (سمية) لأول مرة .

اليوم الخميس ، والغد الجمعة ، ولزام على أن أسافر لأنتظم فى الدراسة بعد غد ، كما جرت على ذلك عادتى ، وإذن فالأوفق أن نحيي هذه المناسبة بنزهة ممتعة فى النيل وعلى (حلمى) أن

يعد ـ الليـــلة زورقا وينتظرنا به حتى نواتيه قرب الربوة كالمعتاد .

(هيا ياأختاه فهذى نزهة الوداع ، ومن يدرى ؟ ربما يكون قد سبق لنا فى علم القدر أن لانلتقى ؛!

فأجابتنى بصوت متكسر حزين (عافنى الليلة ياأخى من ذلك فإنى أشعر بصدرى كأنما اضطرم فى جوانبه لهيب واستقر وبقلبى تسرع نبضاته ، وإحساس مخيف يداخلنى ويسرى فى كيانى) رباه إنه ذات الشعور الذى اعترانى ليلة حاقت بنا الكارثة ، أناشدك الله ياأخى أن تعافنى من ذلك وترجئه حتى تحضر فى مرة قادمة ، أناشدك ..

فقلت لها ملتاعا ، (سمية) أحسب ولا أظن أنك ستبخلين على بقضاء لبناتى فى يوم ما !

فقالت وقد زايلها الشعور الذى اعتراها بعض الشىء .. وحدت من وجومها .. أتعد ذلك الامر الهين من اللبنات ؟؛ إنها مبالغة ومغالاة وعلى كل حال انتظر حتى أرتدى ملابسى

وانتهزنا فرصة إنشغال عمى بتصفية حسابه مع نفر من مستأجرى أرضه فى مكتبه القريب من الباب الخارجى ومعهم (الحاج سلام) وتسللنا الى الخارج فى خفة يتبعنا (مرزوق) وما ابتعدنا عن البيت قليلا حتى سمعت صوت (عطية) الخفير المرابط أمام البيت ينادينى وهو يهرول نحونا .. فتوقفنا حتى أدركنى قال : أجب حضرة (العمدة) فانه يدعوك فاستأذنت (سمية) لإجابته وطلبت اليها أن تسبقنى ومعها (مرزوق) الى النيل حيث يجدان هناك (حلمى) فيمكثان معه حتى أدركهما بعد قليل .. استأذنت على عمى ودخلت ، فرفع ناظره الى وهو يلوح لى بثلاث عرائض بيضاء قائلا : لقد أحببت أن تجهز لنا كتابة هذه العقود قبل سفرك ، فتعال أملى عليك !! ولم يكن من عادتى أن أرد طلبه وأتملص منه ، لذلك فما ملكت الا أن أجلس وأمضى فيما أمرنى به واستغرق ذلك وقتا ليس بالقصير اندفعت بعده الى الخارج كالمنطلق من إسار ، أو المتحرر من أصفاد وأغلال .. العن الظروف السيئة التى

خلفتنى هذا الوقت الطويل ، وما جاوزت القرية حتى صادفت (مرزوق) فى الطريق فسألته : الى أين ؟ فأجاب :

« إن سيدى « حلمى » وسيدتى سميـــة » فى انتظارك على الربوة . وقد بعثنى بنقوده هذه لأحضر له « علبة سجاير » من القرية ، فتركته يمضى وانطلقت ساريا أغوص فى ذاكرتى النجوى الطويلة هذه التى سأسكبها فى مسامع « سمية » وأعد نفسى لتلقى حديثها « السحر الحلال » عند ما أجلس جوارها على حافـــة الزورق بينما ينفـرد « حلمى » بالتجديف . . . وأخيراً قاربت الربوة التى لفها بما حولها الصمت العميق . فلست أسمع من شىء غير وقع قدمى على العشب الاخضر ، والكلأ الذى رطبه الطل فى هـذا المكان ، ولكنى كنت كلما دنوت من الربوة نفذ الى سمعى صوت آخر غير ذلك الصوت الذى تحدثه قدماى كان كالحشرجة : أستغفر الله ، بل صوت مكتوم يجاهد فى أن ينطلق ، ولكنه يتأبى عليه الانطلاق ، واندفعت فصعـــدت الربوة فى بضع خطوات ، والى جوار جذع الشجرة فى هـذا

الصعيد المنبسط ؛ أنكرت منظرا لم أتمكن من تبينه على حقيقته في الظل الكثيف لأول وهلة ؛ فقفزت قفـــزة أوصلتني إلى ما أنكرت وعلى الاثر شعرت بقلبي قد تحول الى قطعة من رصاص ؛ تريد أن تقفز الى صدري وغشاوة تغشى عيني والسنة من اللهب تندلع من جبهتي ووجهي وتصلب في عروقي وتقلص في عضلاتي ، ورن في أذني هذا الصوت (عافني الليلة يا أخي) من ذلك فاني أشعر بصدري كانما اضطرم في جوانبـــه لهيب واستعر وبقلبي تسرع بنضاته واحساس مخيف يداخلني ويسري في كياني ؛ (رباه :) إنه ذات الشعور الذي اعتراني ليلة حاقت بنا الكارثة (أناشدك الله يا أخي أن تعافني من ذلك وترجئه حتى تحضر في مرة قادمة . . أناشدك . .) لو أني أطعتهـــا وأرجأت ذلك إلى المستقبل لما طالعت ساعتهـــا (حلمي) صديق الوفي . وخليلي الصفي وكاتم أسراري ؛ ومفزعي في الملمات ؛ قد طرح (سمية) على الارض ؛ وهلهل أثوابها وانتزع استارها وكم فمها وجثم فوقها تماما كما جثم فوقها اليهوديه

من قبله سوى فارق كبير صغير بينهما . هو أن اليهودى لم ينل منها شيئا . أما الذئب ، ذلك الذى قضى عهده معى فى جلد حمل فقد سلبها كل ما تملك ، وأهرق شرفها على نخذيها . ليتنى أطعتها الى الله أشكو بثى وحزنى ـ واليك أعهد بتخليد مأساتى فانى فريسة المرض ولا أقدر على صنع شىء . ! ؟

ولست براجع ما فات منى . بلهف ولا يليت ولا لو أنى

وما كنت أدرى أن فى الناس من لبثوا « جلود الضأن على قلوب الذئاب »

قال لى ذلك . واغرورقت عيناه . وغص بريقه ، ورأيته وجهه يخضار ، ثم يصفار ، واسترخت مفاصله ، وهدأ هدأة خلتها هدأة الموت ، فصدرت منى صرخة ، دوت فى أرجاء المكان ، فأفاق عليها وفتح جفنيه وارتسمت على شفتيه الذابلتين ابتسامته الطاهرة وحاول أن يطمأننى بالكلام فاعتاص عليه الكلام ، وكلمنى بعينيه حديثاً لن أنساه ، وتركته على أن أعوده فى الغداة ولكنى ما فارقته حتى رحل ، رحل إلى بعيد . وهأنذا مامرت بقبرهما أواختلجت فى قلبى ذكراهما إلا رددت دفن الحب وأهلوه معا ☆ فعلى الحب وأهليه السلام

تمت بحمد الله

هاتف الليل . .

رحماك يا إلهى رحماك . . فلقد طال بى المقام . . واصبحت وحيدا فى هذا المكان النائى عن العالم وما فيه . . بعيـــدا عن ضجيج المدينة . . وحركة القرية . . كل ذلك لأخلو الى نفسى لأسرى عنها بعض الشىء ، ولأنعم بهـواء البحـــر . . ونسيم الأمواج . . ولأشارك القمر فى رحلتـــه . . ولأسمع أناشيد الطبيعة ، وأغاريد البلابل ، وأغنية السماء .

نعم : الليل ساج ، والطبيعة ساكنة ؛ وكل ما حولى يعبر عن السكون والهدوء ، فالسماء جميلة صافية ، والنجوم زاهية منيرة . والقمر مشرق وضاء ، والأفق صاف رائق : والبلابل تشدو بصوتها العذب الحنون ، أغنية الطبيعة ؛ وأنشودة الخلود رباه . . لقد عودت نفسى أن أجلس فى هذا المكان حينما تغرب الشمس وتغيب وتختفى وراء الشفق الاحمر ، ولكنى لم أر هذا الجمال إلا فى هذه الليلة ، ولم اشاهد هذه الفتنة الا فى

هذه الساعات ولم أشعر بالسعادة إلا فى هذا الليل فماذا يا الاهى ؟

لقد تحير عقلى ، وتشتت فكرى ، وتعلق قلبى بأسباب السماء وظللت على هذا الحال مدة من الزمن وأنا فى عالم آخر . وفى دنيا ثانية . وبعد قليل سمعت هاتفا يهتف : فأنصت فاذا به يقول لقد ولدت الدنيا مولوداً جديداً : وأهدت الطبيعة الى هذا الوجود هدية ثمينة : فاستبشرى أيتها الإنسانية وافرحى أيتها البشرية واحملى أيتها الدنيا رسائل « كمال » لتقدمى رسالته الاولى إلى أبنائك العاملين المؤمنين فى هذا الوجود ليحذوا حذوه ، ولينسجوا على منواله ؛ وليحملوا المشعل ليضيئوا الطريق إلى المجاهدين المخلصين الذين آمنوا بالسعادة فى الدنيا . والعزة فى الآخرة ؛ وان الانسان ما خلق الا ليعمل ويجاهد ويتفانى فى خدمة مواطنيه ويغرس فى قلوبهم بذرة الوطنية الصادقة والحرية الكاملة ، نعم سمعت هذه الاصوات فاستيقظت من غشيتى ، وارتسمت على وجهى ابتسامة القائد الذى انتصر فى معركة الجهاد . . فاليك يا أخى القارىء هذه الخواطر التى

كتبها الزمن فى فؤاد زميلى ، وسطرتها الأيام فى قلب أخى ، وسجلتها الحوادث فى تاريخ حياته .. إليك هذه الرسالة لتقرأها ثم لتحكم عليها بعد ذلك . وفى اعتقادى أنك ستحكم عليها بالبقاء والخلود ، ففيها الدواء الناجع لعلتك الحـــرى . وفيها الضالة المنشودة لروحك الحيرى . وفيها النشوة البيضاء لأحلامك السكرى

وإليك يا أخى الكاتب تحياتى الصادرة من أعماق الذى امتلأ نوراً من نور الله وضياء من ضياء الإيمان . وتهنئتى التى تنبعث من قلب تطهر من أدران الحقد والرياء والانانية ؛ وأخيراً

هاهى يدى تصافحك وتشد على يديك بحرارة وقوة وتدفع بك إلى الامام لتجلس فوق ذروة المجد العالية . وتجلس على أريكة الأدب الرفيع ليخفق علم العلم والمعرفة فوق رأسك .. فتكتب الينا وتسطر من قلبك الكبير : وتسجل من قريحتك الناضجة ماهو نافع للدين والدنيا : والوطن والمواطنين !!

وإلى اللقاء على صفحات رسالتك الثانية ؟

أخوك فى الله

محمود جمال الدين الحلو

طالب بمعهد الاسكندرية الدينى